حلم ليوم واحد

مجموعة قصصية





وليده عتو

إهـــــداء ٢٠٠٩

أ/ وليدة عتو

سوريا

وليده عتو

حلم ليوم واحد

قصص

- حلم ليوم واحد
- قصص
- وليده عتو
- غلاف من متحف الفن العالمي
- الطبعة الأولى : ٢٠٠٧
- صدر عن دار عبد المنعم – ناشرون

دار عبد المنعم – ناشرون

مؤسسة ثقافية تعنى بنشر الأدب والفكر والعلوم العربية والعالمية

سورية – حلب – شارع القوتلي – ص.ب: ٦٥٦٧ – تلفاكس ٢١١٤٥١٢

الإهداء

روز يا حلم بعيون عاشق يا قمر يبسط نوره في ليالي الشتاء، يا فرحة الزهور في قدوم الربيع يا قبلة حبي ورعشة روحي في لحظة لقاءك.. من هنا من القاهرة عروس النيل الخالد الذي حبه ملك روحي وهواه تعدي حدود العشق. أكتب إليك يا حبيبتي من كل مكان أتواجد به ومن كل بلد أسافر إليه لأن روحك ملازمة لروحي وطيفك محتل فضاءات فكري واسمك منقوش على جدران قلبي ورسمك الجميل ينام بين أجفاني..

روز يا عشق روحي ومرتع أحلامي، أكتب إليك أيتها الطفلة المدللة من هنا من أجمل بلد في العالم، من مصر الحبيبة مصر الحضارة والروعة التي عشقها التاريخ وهي عشقت الشعوب، هذا البلد الساحر الذي كان ضيف أحلامي لسنين طويلة.

روز يا صغيرتي الجميلة، يا زهرة اللوتس في نافذة روحي، يا أقحوانة محتلة جدران قلبي، إن بعدك ينغص علي متعة الحياة هنا ويحرمني لذة السعادة المحملة بها الأشياء.

روز يا اشراقة شمس في ظلمة أيامي، لا أستطيع وصف جمالية وروعة الأشياء هنا وعظمة شعب هذا البلد الذين أحاطوني بكل رعاية وحب.

روز يا نور عيني وفرحة قلبي لا أدري يا عمري كيف أعيش ساعاتي وتمر أيامي وأنت بعيدة عني.

روز أشعر بأن الحياة خلقت لك ومن أجلك فأنا لا أرى من الأشياء وجمال الحياة سواك أشعر بالموت إذا ابتعدت عني.

روز يتمزق القلب إذا فارقك لحظة، تموت الفرحة في العيون إذا نظرت إلى مكان أنت لست موجودة فيه، أه.. يا غالية يا معبودتي الصغيرة يا فرحة أيامي وجنة روحي وروضة فؤادي، كم تتعذب الروح يا حبيبتي عندما أفكر

بوحدتك أثناء غيابي ، أخاف الموت يا عمري خوفاً عليك ، أتمنى الحياة من أجلك.

روز على شواطئ أفكاري تسيرين وفي مراكب أحلامي تبحرين وبين أهدابي تسكنين وعلى ضفاف قلبي تنامين ومن حب روحي ترتعين.

روز آه.. يا حبيبتي يا نبضة قلبي وتوأم روحي إن عذاب بعدك ينهش روحي كما ينهش السرطان الرئة روز إنك حلم خرافي يرقص داخل أجفاني..

روز أنا لا أتصور الحياة من دونك ولا أدري كيف كنت سوف أعيش وأنت لست فيها.

روز اسمك مقطوعة موسيقية أترنم لسماعها ، وجهك قمر يضيء ظلمات حياتي ، ضحكتك نغمة تعزف عليها أوتار قلبي..

روز إن قلبي يصرخ شوقاً إليك ، عيوني تنادي طيفك الغالي.. آه.. يا روزة نافذتي التي يفوح عطرها في فضاءات روحي المتدفقة حنيناً لأيام طفولتك التي

ترافقني في لياليّ الباردة والتي تشدني إليها عندما كنتِ تنامين بين حنايا روحي وفي دفء أحضاني إن صورة وجهك الجميل يحتضنها قلبي وتعانقها روحي وينصهر لها فؤادي.

روز ما أقسى الأيام التي تمر وأنت بعيدة عني وما أطول الليالي واللحظات وأنا أنتظر لقاءك إنك يا نور عيني تعيشين في أعماق روحي تنامين في قصر أحلامي.

روز عندما أجلس وحيدة أتخيلك أناديك أمد يدي كي أتلمسك أفتح أحضاني كي أضمك فأجدك سراباً.. أعدو خلف طيفك ينهكني التعب، يهدني بعد المسافات، يقتلني اليأس، يأكلني الخوف، أن أموت وأنا أحمل حلم لقاءك.

روز إن الحياة كلها مظلمة لا يوجد فيها سوى قمرك الذي يبدد وحشة الليالي، وحين أسمع صوتك عبر الهاتف تعود الحياة لروحي بعد موتها، فيمدني بالقوة، يساعدني على تحمل غربتي، يزودني بأمل لقاءك، روز

إن القلم يئن أنين المحتضر، وحين يخط الحروف والورق يحترق، تحت ريشة القلم والحروف تصرخ من لهيب شوقي وعذاب قلبي وأوجاع أيامي في بعدك.

روز إنني أتوسل للأيام أن تسرع سيرها، أستحلف الليالي أن ترحل، أستجدي اللحظات أن تمضي، أناشد المقدسات كلها وأقف أمام الله، هو أقوى من كل شيء وأن يرحمني ويجمعني بك، لقد ضاقت روحي من أوجاعها وانتظار اللقاء.

روز إن قلبي يناديك وعيوني تبكيك وأحضاني تفتقدك يا روز وأنا بعيدة في غربتي مع من أتبادل أجمل الأحاديث، وأبوح عن أوجاعي وألمي..

روز أودع الدنيا كلها حين تلوحين بيديك وتبعد المسافات وأحمل عطر أنفاسك معي وأتنشق عبق عطرك المميز فتهاجمني نوبة بكاء مؤلمة.

روز لقد باتت الكلمات ضعيفة والعبارات واهية أمام ما أنا فيه فلا أجد يا عمري سوى كلمة الوداع هذه

الكلمة التي أثقلت على روحي وأحرقت ربيع أيامي من هنا من صحراء روحي وضفاف النيل الذي عشقه قلبي قبل عيوني أرسل لك شوقي ولهفة قلبي للقاءك وإلى عشق روحي وقبلة أحلامي سورية الحبيبة ودمشق العابقة ونهرها بردى وجبلها قاسيون اللذان عشقهما قلم الشعراء وغناهما صوت فيروز.

وليدة

هواجس وأحلام

كان لروان رؤيتها الحياتية وفلسفتها الخاصة، عندما ترى الأشياء تسرح في خيالها لتلخص المشاهد، وتقسم الأدوار على مسرح الحياة الذي تصنفه على المسرح الغنائي أو الفني الذي يعتمد على الكاتب الذي يخط الكلمات والمخرج الذي يحدد الحركات، أما مسرح الحياة، فبطله الفرد الذي يكون هو المسؤول عن تصرفاته ويختار ما يحب من الأمور، ويسعى خلف رغباته.

هكذا كانت رؤيتها للأمور، وقد اكتسبت الكثير من الخبرة من خلال سفرها الدائم الذي أتاح لها دخول مجتمعات عدة، مما زودها بمعلومات وفيرة، شكلت لديها مخزوناً كبيراً لمشاهد وصور من خلال رصدها لما يدور على مسرح الحياة.

في آخر مرة سافرت فيها ، التقت صديقتها الرائعة صاحبة الفكر النظيف والنفس الراقية والروح الشفافة ناهد التي استقبلتها بكثير من الحفاوة والترحاب وبعد حديث طويل عن أمور الحياة الاجتماعية والسياسية والقومية التي تمر بالوطن العربي بوجه عام وسورية بشكل خاص، كانت علامات القهر والألم بادية على وجه روان التي كانت تعيش بكل إحساسها مع هذا الظرف القاسي الذي يمر به بلدها الغالي، كانت المرارة تجرح حلقها.

أرادت ناهد أن تحتفي بروان، وتزيل عنها مشاعر الألم والمرارة، فدعتها إلى تناول العشاء في أحد المطاعم التي تقدم برنامجاً فنياً جميلاً وشيقاً.

لم يكن لدى روان أية فكرة عما يقدمه هذا المطعم، لذلك لم يكن لديها تصور دخلت روان مع صديقتها، كانت الأنوار خافتة والطاولات مليئة بالرواد الباحثين عن السعادة، والموسيقى تصدر ناعمة والجو رائع وجميل.

استقبلهما عدد من النادلين وقادوهما إلى طاولة قرب المنصة جلستا قابلة بعضهما وراحت روان تتلفت يمنة ويسرة دون أي شعور، لم تكن سعيد لما تراه. ولم تكن رافضة له، بعد دقائق أقبل أحد أصدقاء ناهد فصافحته ناهد ثم مدّ يده مصافحاً روان بعد أن قامت ناهد بمهمة التعريف بينهما.

قالت ناهد : لقد جاءت روان لزيارتي اليوم وستبقى عندي لبضعة أيام، رحب طلال بروان كثيراً واشار إليها بالجلوس.

أخذ كل واحد مكانه ثم دار بينهم حديث عام لبعض الوقت، اكتظ المكان بالساهرين، سألت ناهد طلال متى سيبدأ البرنامج؟ قال طلال : بعد قليل..

كان طلال صاحب المطعم، بعد دقائق أقبلت إحدى المطربات اللواتي يعملن في هذا المطعم استقبلها طلال بالأحضان والقبل وهي تقول له :

أين أنت يا حبيبي ؟ لم نراك منذ زمن، أين كل هذا الغياب ؟ أطلق ضحكة خفيفة قائلاً : إنها مشاغل الحياة، لكنني أتابع ما يحدث هنا كل يوم.

جلست المطربة بجانبه، راحا يتغازلان ويطلقان الضحكات، كانت روان تراقب ما يدور أمامها وهي شاردة، تختلط في داخلها المشاعر والأحاسيس كان يعلو على وجهها شيء من الاستغراب والفضول، وينطلق من نظراتها هذا الفضول لمعرفة ما يحدث في هذا المكان، وليس لأنها لم يسبق لها الدخول لمثل هذا المكان، لقد شاهدت مثل هذه الشرائح والمستويات على شاشات التلفزة والفضائيات التي أصبحت بؤرة للدعارة وسوقاً رخيصة لبيع الأجساد العارية، ومصدراً حقيراً لمن يلهث خلف شهواته.

هناك الكثير من المغنيات اللواتي لا يملكن سوى الجسد العاري، الذي يثير الغرائز والشهوات لدى بعض الرجال وخاصة الشباب المفرغين من الأخلاق.

إن ما تراه الآن غرضه تدمير المجتمع، وتخريب النفوس، وكل ما هو جميل في حياتنا وعلى ذلك هم يكسبون الشهرة والمال، إنها تجارة رابحة بأقل رأسمال ممكن وهو مبذول على مدار الساعة.

إن ما تراه في هذا المطعم أخف وأنظف مما يعرض على الفضائيات، هذا ما كان يدور في خلد روان، وهي ترصد أجواء المطعم.

بعد قليل نهضت المطربة لتستعد للظهور على مسرح المطعم، عاد الثلاثة إلى حديثهم المشترك، فجأة ارتفع صوت المذيع يعلن عن بدء البرنامج الفني، فاشرأبت الأعناق وانطلقت النظرات مسرعة باتجاه المسرح متلهفة لرؤية المطربة، علت الموسيقى عازفة لحن أغنية جميلة فيها عبق الطرب القديم وسحر عمالقة الفن العربي الأصيل، الذي سحروا بطربهم أجيالاً كثيرة ولا زالت أغانيهم تتردد حتى الآن.

شعرت روان بشيء من البهجة والنشوة لدى سماعها هذا النغم الجميل واللحن الأصيل الذي شوهته بعض

الغانيات وبائعات الهوى، لكن بهجتها ما لبثت أن تبددت وإحساسها جمد بعد أن اعتلت المطربة المسرح وراحت تشدو بصوتها القوي الرائع، وأدائها الجميل، عندما هب أحد الساهرين ينادي النادل ويطلب منه أن يحضر له المزيد من زجاجات الكحول، ليفتحها فوق طاولة صغيرة موجودة أمام المطربة.

راحت الأحاسيس والمشاعر تتشابك في نفسها، ومرت أمام ناظريها صور راهنة لأمة مسحوقة ترزح تحت نير الاحتلال الأمريكي والصهيوني والبريطاني في العراق وفلسطين، هذا الاحتلال يمزق بطائراته ودباباته ورصاصه أجساد أهلنا.

تراقصت هذه الصور أمام ناظريها وراحت تختلط بمشاهد الكحول الثائرة السائلة فوق الطاولة ومشاهد دماء شعبنا في العراق وفلسطين المسفوحة على ثرى بلادنا الطاهرة، لم تدر لماذا تشابكت في مخيلتها تلك الصور المتنافرة والمتناقضة، كانت تلك المشاهد تعصر قلبها وتعصف بروحها.

حاولت أن تنسجم مع هذا الجو الفني الطربي إلا أنها لم تستطع ذلك، ودخلت مع نفسها في حوار طويل: يا ألله ! ما أغرب الإنسان وأجهله هنا ترمى الألوف من أجل الخمر والمطربة والراقصة، وهناك يموت الآلاف في مواجهة المحتل الغاشم، وفي مواجهة الجوع والفقر، والظلم والاستبداد.

إن هناك آلاف المشردين الذين لا يحصلون على غطاء أو مأوى آه.. ما أغرب الحياة وأقساها في ظل هكذا ظروف..

أصدرت روان زفرة مزقت صدرها، وانتبهت ناهد لشرود روان، وقد رأت حزناً عميقاً على قسمات وجهها فسألتها..

ما بك ؟ هل من شيء ؟ رسمت روان ابتسامة باهتة لا طعم لها ولا لون على وجهها المثقل بالحزن وأجابت.. لا.لا.. إنني سعيدة برفقتك ووجود السيد طلال.. قال طلال : نحن رهن إشارتك، أطلبي ما يحلو لك أيتها الرائعة..

قالت روان، شكراً لك يا سيد طلال على لطفك وحسن استقبالك، فأنا سعيدة، فعلاً، لكن بداخلي إحساس لستما طرفاً فيه، ولا أريد أن أفسد عليكما بهجة هذه السهرة اللطيفة.

صمت الجميع، وراحوا يصغون إلى المطربة، لكن شيئاً داخلياً ينغص عليها روعة السمع والمتابعة.. إنه الوضع القاهر والمؤلم الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية.. هذه الخواطر كانت تلاحقها بإلحاح، عبثاً حاولت إبعادها..

انتهت وصلة المطربة، صفقت لها القلوب قبل الأيدي وجاءت راقصة اعتلت المنصة وبدأت تتلوى على أنغام الموسيقا فاستيقظ إحساس روان وهي ترى الراقصة تنقل خطواتها على شلالات الخمر فشعرت بالنفور واتجهت نظراتها نحو طلال الذي كان يحيط به عدد من الجميلات ويرتمين بأحضانه فزادها هذا المشهد ضيقاً فأخذت نفساً عميقاً آه.. ما أصعب المعادلة بين عقول البشر وفكره إن هذا الرجل الذي يمضي لياليه على هذا النحو ويعود مع انبلاج الفجر مخموراً كيف تكون حياته مع زوجته

وأولاده، هكذا كانت تحاكي نفسها، وما أن انتهت وصلة الراقصة حتى نهضت روان وأشارت إلى ناهد بالخروج وعندما أصبحتا خارج المطعم استنشقت ملء صدرها، قالت لها ناهد لماذا لم تجلسي إلى آخر البرنامج.. أجابت روان ضاق صدري من نفسي ومن المكان ومن كل شيء، أريد أن أعود إلى المنزل وأشاهد التلفاز لعلي أسمع خبراً يثلج صدري ويبدد عني كآبتي..

أطلقت ناهد ابتسامة باهتة وقالت احلمي إذا..

- تنهدت روان بعمق وقالت بقهر أنه حقاً حلم..

ولم تكادا تخطوان عدة خطوات حتى رأتا امرأة تصرخ وتستنجد بمن ينقذها من لصوص هجموا عليها وسرقوا كل ما لديها، مزقوا ثيابها اغتصبوا عفة روحها، صعقت روان، هالها هذا المشهد الذي حدث على مرأى من المارة ولم يحاول أحداً منهم التدخل، حاولت إنقاذها لكن ناهد منعتها وهي تقول لها ماذا تفعلين إن هناك أناس أقوى منك لم يحاولوا التدخل وإنقاذها.

- صرخت روان : ناهد.. هل وصل بنا الجبن إلى هذا الحد... ؟؟؟؟؟؟؟؟؟



قلب أضناه الغدر

للحياة نظمها وأحكامها وللانسان أفكاره وأحلامه . شاعريته ومشاعره التي تحلق في عالم رحب قد تكون بعيدة عن محيطه وقيد جسده والعين لها دموعها وحزانها وبريق يتأجج في لحظة حب أو موقف محزن أو حدث مؤلم، والقلب له عالمه بعمقه وأبعاده وخصائصه وأهوائه وغزواته والروح لها احساسها ووجدانيتها وللعقل له فهمه وعلمه وطموحاته وقناعاته وابداعاته وعلومه التي تجعل منه رمزاً تاريخياً وتجعل من علومه وابداعاته مصدر لتطور الحياة وتغير في حياة المجتمعات.

وهبة التي حملت طموحاتها وأحلامها بين صفحات خيالها الجامح نحو حياة أفضل ومكانة أعلى منذ طفولتها سارت بها هذه الأحلام والتطلعات في طريق وعرة وشاقة مليئة بالحفر والأشواك التي أدمت قدميها الناعمة فأصبحت جزئاً من هذه التغيرات وحرفاً من رموز

الابـداعات والعلـوم وفـضاءات واسـعة تعتلـي صـهوة أحلامهـا في طريـق طويـل تغمـره المـستنقعات العفنـة والجماجم المهترئـة النتنـة الـتي أريكـت خطواتهـا وعثـرت تقدمها بعض الشيء غير أن شـدة تـصميمها للوصول إلى مبتغاها أعطاها القوى والصبر، لقد حطمت قلاع سجنها وتـسلقت جبـال طموحاتهـا هاربـة مـن سـوط الجهـل والتخلـف اللـذان يحتلان عقول أهلـها وزوجهـا الـشرس بطبعـه وأنانيتـه ودكتوريتـه والمحـيط بهـا، خاضـت حـرب ضـروس مـع ذاك الـزوج الـشرس قاومـت هجمـة تخلفـه وكانت الجباه أمامهـا متعـددة أهلـها وزوجهـا والمحيط بهـا وهي كالقلعة صامدة بالمواجهة وتـارة بالخديعـة والحيلـة، مضت سنين وهـي تقـف في خنـدقها وحيـدة دون سند أو رؤوف بحالهـا ورغـم ذلـك وصـلت أو قاربـت علـى الوصـول إلى آخـر طريقهـا الـذي رسمتـه عنـدما وجـدت حمـل أخـر يقـع علـى كاهلـها وطريـق أطـول أصـبحت مسؤولة عنـه يجـب أن تسير بـه كمـا فعلـت بنفسها وهـو حمل الأولاد الـذين فاجئوهـا بفشلهم وهـي الـتي أرادت

لهم أكثر ما تريد لنفسها، لقد أرادت لهم عالم غير عالم والدهم، حاولت أن تنهض بهم إلى عالمها العلمي المشبع بالفكر والفهم والوعي، حاولت شدهم بكل قوتها وثقافتها ووعيها وحاول الأب شدهم إلى عالمه بكل جهله وتخلفه إلى قاعه، فكان النزول أسهل بكثير من الصعود فالبناء صعب وطريقه طويل والهدم سهل سريع الانجاز، ضاقت الروح وتمزق منها القلب واحترقت بين أجفانها الدموع وهي ترى صرحها العالي وقممها تتهاوى وقفت على جبالها العالية تنظر إلى عصارة قلبها وهم في قاع الوادي يتخبطون ليسوا بقادرين على الصعود إليها ولا هم سعيدين بقاعهم السحيق، كانت الأرض تحت رجليهم هشة هذه التي صنعها لهم الأب بجهله وهمجيته فغاصت أقدامهم، صرخ قلبها نزفت روحها أن فؤادها أنين المحتضر، لقد سحقها حصاد حديقتها دمرتها هذه النتيجة، ماذا تفعل، لقد حار أمرها وقد استنفذت كل ما عندها من عطاءات وجهد وطاقة، هل خسرت معكرتها بعد كل هذه الانتصارات التي

حققتها على جهل الأب ودكتاتوريته، هل يعقل أن تأتي هزيمتها على يد من أعطتهم عمرها قبل جهدها، هكذا كانت تدور في فلك هواجسها وتصوراتها وما تراه قد هالها هذا الفشل وهذه الهزيمة بكت دماء قلبها نزفت أوجاع روحها تمزق فكرها جف حلقها من هذا الموقف، كان صوتها يختنق داخل صدرها والكلمات تموت على شفتيها عندما تحاول اطلاق حديثها مع نفسها، سارت بها الأيام ثقيلة لياليها باردة ونهارها قاتم ولحظاتها مظلمة يطبق فوق صدرها كابوس الخوف من نار الجهل الذي هربت منه، أن تلحق بسنينها القادمة وتطال حديقتها فتحرقها، كانت تخاف من عودة الأب في حياتها بشخوص الأولاد وقد حدث ما كانت تخافه، لقد اكتسب الأولاد معظم صفات الأب الأنانية حب الأخذ دون العطاء وكان ولدها رامي أكثرهم أنانية تحجر عقلهم شراستهم، لم يكن في طباعهم إضاءة سوى طيبة القلب والكرم الذين اكتسبوها من الأم التي لا تعرف سوى العطاء وانكار الذات، لقد ضاق بها عالمها وسد أمامها

طريق حياتها الزوجية فلم يكن أمامها سوى الانفصال الذي بات أمر ملح في نفسها على أن تنجو ببقايا مخلفات الأب وما دمره من عالم أولادها هكذا كانت تفكر ولم تدري بأنه قضى على كل شيء جميل أرادته لهم، حصلت على طلاقها بصعوبة وخرجت من بيته وكأنها خارجة من معتقل، حملت حقائبها وخرجت كما يحمل المسافر أشياءه ويعود إلى بلده كما أتى، لم تحمل معها سوى الذكرى المؤلمة، تنهدت بعمق وارتياح وقالت الآن سوف أعيش الحياة، سوف أشعر بطعم سعادة الأم وأولادها، لقد مضت كل هذه السنين، لم أعرف طعم الهناء مع أولادي، لقد حرمنا حتى من لحظة سعادة أسرية، الآن سوف أعرف طعم الأمومة، هكذا كانت تفكر وتمني نفسها غير أنها وجدت نفسها من جديد أمام مسؤولية أربع أشبه بالقصر لا يوجد أحداً منهم منتج أو يحمل مسؤولية نفسه أو يبني مستقبلاً دون يد تساعده ولم تكن هناك يد سوى يد الأم التعيسة التي كان قدرها دائماً هو الكفاح، تخوض معركة البناء لوحدها،

انغمست في همومهم وتاهت في مشاكلهم فلم تجد لنفسها مكان أو لحظة تفكر فيها، ضاقت بها الأيام وأنهكها التعب وهي في مكانها لم تستطع التقدم فالظروف قاسية والحياة صعبة والأولاد يحتاجون إلى الكثير من المال فكيف تستطيع تأمين كل احتياجاتهم فلا بد من التفكير في اتجاه أخر وقد أمضت وقت طويل وهي تفكر في اتجاهات عدة فلم تجد أمامها سوى السفر إلى بلد عربي هو الحل الوحيد إلى اخراجها من المأزق المادي، أخبرت الأولاد في قرارها بل أبلغتهم بعد أن وافقت على عقد عمل وقد رفض قسم منهم ووافق آخر، قالت لهم يجب أن أسافر من أجل مساعدتكم صحيح أنتم في سن الشباب ولكنكم جميعاً جالسين دون عمل وأنا الوحيدة التي أعمل فهل أستطيع لوحدي النهوض بكم وفي هذه الظروف التي يمر بها كل شباب البلد، انكم محتاجون إلى بيوت وزواج وعمل وهذا لن نستطيع تأمينه ونحن جالسين ننتظر معجزة، قال رامي ولدها الثاني وهو أكثرهم اتكالاً علي الغير وطائش لا يعرف معنى

المسؤولية أو العطاء، أنت على حق يجب أن تسافري وأن بقينا هكذا سوف نضيع جميعاً بعد أن تخلى والدنا عن مسؤوليته تجاهنا لم يبقى سواك يقوم بهذه المهمة، نحن مازلنا ضعفاء وقليلي الخبرة، أطلقت تنهيدة أشعلت صدرها وقالت : متى كان هو يقوم بمسؤوليته تجاهكم أو كانت علاقته بكم مثل باقي الآباء، إنه رجل متحجر القلب أناني لا يحب سوى نفسه وأنا لم أنتظر منه شيء منذ أول زواجنا والآن لن أدعه يتشفى بنا ويقول أننا ضعفاء من دونه أو هكذا يخيل له دائماً سافرت هبة تتصارع مع أيام غربتها وقسوة بعدها عن اولادها الذين لم تفارقهم يوماً واحداً في حياتها فكان عذابها مزدوج، مضت سنين كثيرة وهي تعاني غربتها وشقاء روحها، حققت لهم احتياجاتهم، تزوج الكل واشترت لهم بيوت متواضعة وأمنت لهم عمل، ولكن بالمقابل نسيت نفسها وماذا تريد.

الأب عندما عرف بأن أصبح وضع أولاده المادي جيداً ولم يطالبوه بشيء راح يتقرب منهم ويذكرهم أنه

والـدهم وأنـه يحـبهم وخاصـة رامـي الـذي كـان وضـعه أفـضل أخوتـه بـدأ يـسعى لجلبـه إليـه ويعـرض عليـه أن يشاركه التجارة وقد نجح بذلك عادوا إليه دون عتـاب أو لوم وابتعدوا عن هبة تدريجياً وبـدأت تلاحـظ أنها عنـدما تـأتي اجـازة وتقـيم عنـدهم يتـضايقون مـن وجودهـا ، شـعرت بجـرح كـبير في قلبهـا ولكنهـا احتـضنت آلامهـا وأخفت عذاب روحها وقالـت : حسناً أنا لا أريد منهم شـيء سـوف أتـابع عملـي وأجمـع ثمـن بيـت أسـتقل فيـه وأريحهم من عبء وجودي ، غابت طويلاً جنت خلالها ثمن بيت ، وعندها راح الأب الحقود يحرض الأولاد على أن يسلبوها البيت ويرموها في الشارع ، نجح ببث الحقد في نفوسـهم وكانـت تقـوم بمحـاولات ضـد هـذا الـشيء ولكنها فشلت ، عندها تنكر لها الجميع ولما قامت بـه من أجلـهم نـسوا أنهـا قـدمت حياتهـا قربانـاً علـى مـذبح سعادتهم ابتعدوا عنها محتجين على توقـف عطاءها لهـم وهذا شيء لم يعتادوه ، قالت لهم ، لقد أعطيتكم عنـدما كنتم بحاجة أما الآن فأصبحت أنا بحاجة ثـم أن الله فتح

عليكم أكثر مني، كان ما رأته منهم شيء مؤلم بالنسبة لها فقد احترق قلبها الذي رمته تحت أقدامهم، لم تلومهم، قالت لهم أفعلوا ما يحلو لكم وسافرت تكمل مدة عقدها، مرت أيامها كما هي ثقيلة، مرة يداعبها أمل بأن تعود وتجد حالهم اتجاهها أفضل، وجاء يوم عودتها، كانت فرحة بأنها سوف تأنس بجمعة أولادها حولها وتأمل بحياة أسرية حرمت منها طويلاً ولكن كان شيء ما يخيفها بأن بعد هذه السنين الطويلة التي غابتها وتغير الأولاد نحوها، هل ستنعم بما تحلم به، عادت لتجد بانتظارها حكم اعدامها ومقبرة أمومتها تنتظرها، لقد وجدت الكل مشغول بحياته، لم يبق لها مكان بينهم، فقد كانت زوجاتهم قد فرضت عليهم بأن لا يستقبلوها في بيوتهم ولن يذهبوا إليها بحجة انشغالهم فلم يعد فيهم شيء لها أو حتى إلى الأبَ، لقد مزقها هذا الذي سمعته كيف سيطرت عليهم زوجاتهم وعندما سألت عن سبب نفور تلك الزوجات منها قيل لها أنها أم قاسية لم تعد تعطي لهم شيء وبالتالي هم ليسوا على

استعداد لأن يلتموا حولها وحين زكرتهم بما قدمت لهم وعطاءاتها التي ليس لها حدود نكروا كل ذلك قائلين أنت لم تقدمي لنا شيء، نحن بيننا أنفسنا بجدنا، ضاقت روحها التهب قلبها، احترقت دموعها، صرخت أوجاعها، آه من عذاب قلبي ووجع أيامي أهذا جزائي بعد كل ما قدمته وهذه مكافئة عمري الذي أحرقته من أجلهم فيعلنون عدم رغبتهم بدخولي بيوتهم التي أنا بنيتها لهم أصبح عندهم رضاء زوجاتهم أهم من رضائي، هكذا كانت تقول إلى صديقتها التي صرخت دهشة وراحت تلومها وتذكرها بغلطتها حين نست نفهسا وعاشت لهم وبهم قالت لها بصوتها المذبوح أنا لا أريد منهم شيء، لست بحاجة لهم وأنما شيء مؤلم وقاتل أن تجدي من أعطيتهم كل شيء يبخلون عليك بزيارة، قالت لها صديقتها تهون عليها : لا عليك منهم، عيشي حياتك وارميهم خلف ظهرك، أطلقت هبة نظراتها بعيداً وهي تعالج دموع تريد التساقط وقالت لصديقتها أن عذاب غربتي وكل ما ذقته لم يساوي عذاب لحظة من

الذي أنا فيه الآن لم أشعر بغربة بحياتي بقدر ما أشعر بها الآن بين أولادي، إن غربتي الآن بينهم أقسى من غربتي في بلد بعيدة عشت فيها سنين طويلة، لم أكن أتوقع أن أجد هذا بعد عودتي، كنت أستعجل الأيام كي أعود وأرمي نفسي بين أحضانهم التي تصورت أنها تنتظرني ولكني لن أستجدي قربهم أو برّهم بي، سوف أرحل من هذه الغربة بكى قلبها قبل عيونها وهي تبث أهات روحها إلى صديقتها وفي فجر يوم حزمت حقائبها ورمت نفسها بين أجنحت الطائرة ورحلت على بلد عربي، ليس فيه عمل أو من أجل العمل بل ربما تجد عندهم ما افتقدته في بلدها وبين أولادها ربما تجد من هم أحن عليها من أسرتها أو تجد عندهم الدفء والوفاء أو ربما تجد لأمومتها أولاد لم تنجبهم، رحلت تاركة سنين عمرها وشقاء أيامها وغربة روحها.

عروسة النيل الدمشقية

إنه حلم يدغدغ الخيال، يحتضن الروح، يعانق الفكر، يحلق إلى أقاصي الوجدان إنها كنسمة تداعب الأجفان تعصف بالفؤاد ترتعش لها المشاعر يضمها القلب كفرحة تعشقها العين وضحكة تطرب لها الشفاه تلك الأيام والليالي الساحرة واللحظات الخرافية التي تعزف عليها نبضات القلب لقد مرت تلك الأيام كنسمة ربيع عطرة والشمس تنام بين أجفان النيل الخالد الذي يتهادى تحت ضوء الأنوار المنبعثة من المراكب المتناثرة على ضفافه والمطاعم المكتظة بالوافدين الباحثين عن الجمال ورشا التي تحقق حلمها الكبير الذي رافقها سنين طويلة بهذه الزيارة إلى مصر تجد نفسها مع حلمها تسير على ضفافه وفرحة اللقاء تحملها على أجنحة الشوق إلى أحضان مصر الساحرة امتد نظرها بعيداً احتضنت عيونها شوقها العارم توهج احساسها أخذت نفساً عميقاً وقد اعتلت

الفرحة وجهها وعانقت شفتيها ابتسامة عريضة تعبر عما يداعب نفسها من سعادة إلى درجة نست صديقتها الرائعة التي تشبه وردة عطرة والتي كانت تحمل في شخصها أجمل الأشياء، روحها الطيبة طبعها الهادئ يجعلان من يتعامل معها يشعر بالراحة والمودة، كانت تقاسم رشا الكثير من الصفات لذا جاءت الصداقة بينهما سريعة وما كان قد أدهش رشا هو علاقة مها بزملائها في العمل بوزارة الثقافة، حيث كانت تعتلي منصباً جيداً هذه العلاقة الحميمة والترابط اللذان نتج عنهما نشاطات ثقافية متنوعة وأدبية مكثفة ومفيدة في فرعهم وهذا ما قرب الصديقين من بعضهم أكثر تنبهت مها إلى شرود رشا وابحارها في عمق وروعة النيل فأيقظتها من شرودها بصوتها الناعم وهي تقول لها ها يا رشا إلى أين وصلت بأفكارك، لقد سافرت بعيداً أطلقت رشا ضحكة ناعمة فيها صفاء روحها وقمم أحلامها وقالت لها إنه حلم يا مها هذا الذي أنا فيه اليوم حلم كبير رافقني سنين طويلة، الآن أجد نفسي وجهاً لوجه أمامه أحلق في

رحابه أنصهر في روعته وأذوب بسحره، رقصت الفرحة على وجه مها وهي تسمع كلمات رشا العاشقة إلى نيل بلدها وترى هذا العشق ينطلق شعاعه من قسمات وتعابير وجهها ويتلألأ مع بريق عينيها المتوهجة ونظراتها الحالمة اقتربت منها عانقتها وهي تقول لها إنني سعيدة يا رشا بحبك لمصر وشعب مصر ولكن تأكدي بأن حبنا إلى سورية وشعبها الطيب العظيم لا يقل عن حبك لبلدنا، وتابعت قائلة الله يا رشا كم هو رائع حب الشعوب العربية بعضها لبعض، إنه شعور مفرح يبشر بالخير. وأضافت قائلة بمرح ولهجة فيها فيض من الود والمحبة، على أي حال أتمنى لك زيارة سعيدة وإقامة طيبة وموفقة في ربوع بلادنا أيتها الرائعة، عادت رشا إلى غرفتها في الفندق تحملها مشاعر النشوة وتحلق بها السعادة، نامت على حلم يومها واستيقظت على خطواتها وهي تحملها على جناح التاريخ الفرعوني، راحت تنتقل مع صديقها الناقد الفني في إحدى الصحف، طارق الذي تعبق روحه بالطيبة والصفاء وصدق معاملته وصديقتها مها. ساروا

طويلاً حول الهرم توغلوا في عمق التاريخ تنشقوا عبق الماضي البعيد وأبحروا في خيالهم تلاحموا مع شخوصه، صهرتها الحالة، ألهبت مشاعرها عظمة تاريخ هذه الأمة وتعانقت روحها بحالة وجدانية مع كل ركن وكل حجر وتمثال تحركت التماثيل بصورة أشخاص أمامها، دخلت معهم بحوار عميق توغلت في عالمهم، سارت مع حكاياهم وقصت عليهم حكاياها، أخبرتهم عن عالمها الذي أطلق عليه اسم العصر الحضاري الحديث، شكت لهم تمزق شعوب واغتيال أحلام وأفكار وقتل ضمائر من عالمها الحضاري. كانت رحلة طويلة في عالم تاقت نفسها كثيراً لأن تتوغل في عالمهم، كانت رحلة خرافية عادت منها محملة بأحاسيس ومشاعر رائعة فانطلقت مع حاضرها تركض تضحك بعمق تركب الخيل والجمال رغم خوفها التقطت صوراً تذكارية وختمت جولتها بجلسة فوق حجر كبير مع صديقيها وانخرطوا في حوار متنوع وطويل جمع الفن والمجتمع والثقافة ثم انعطفوا إلى حوار سياسي حيث كشف لرشا عن ضيق فكر وفهم

طارق السياسية، فقد اختلفت معه في جوانب كثيرة وقد انزعجت منه لقصر نظرته وسذاجة معلوماته، خاصة بما يتعلق بوضع بلدها وأمور تتعلق بوضع العراق ولم تكد تذكر سياسة سورية تجاه ما يحدث في المنطقة حتى فاجئها بسؤال زلزل كيانها، مزق فؤادها حين قال لها، رشا : هل حقاً سورية هي التي اغتالت الحريري ؟ انتفضت وكأن أفعى لسعتها، نفضت رأسها ونظرت إليه بعين تمزقها الدهشة والاستغراب، وبقيت صامتة، لقد صعقها سؤاله وقع على رأسها كقنبلة مدمرة، حولتها إلى أشلاء، شل لسانها أرادت الصراخ ، حاولت أن تفجر كلماتها في وجهه أن تلومه غير أنها لم تستطع فعل شيء من هذا، دقائق مرت وكأنها دهر وهي ملتزمة الصمت ترشقه بنظرات حادة ملتهبة تحمل كل معاني الحروف وتلون المسطلحات وعمق والمفردات وأخيراً جمعت أشلائها المتناثرة وروحها المبعثرة وهمست له قائلة وأنت ما هو رأيك، هل هي من فعلت ذلك؟ قال لها بلهجة تأكد قناعته أظن ذلك قالت وهي تعالج

رعشات صوتها الغاضب وتضغط على أعصابها كي لا تفلت منها كلمة تجرح مشاعره أو تهينه وكيف تأكدت من ذلك ؟ قال كل ما حدث بعد اغتيال الحريري بما فيه تقرير ميلس وما تبعه من اغتيالات بعد الحريري ثم لماذا البنانيون يكرهون سورية ؟ زلزلت هذه الكلمات الأرض تحت قدميها، تفجرت براكين من الغضب فوق صفحات وجهها، تدفقت دماء قلبها، لملت نفسها، استوت في جلستها وهي ترميه بنظراتها الدامية التي تئن من قصر عقول وضيق فكر وغباء البعض من الشعوب العربية الذين لا تكلفون أنفسهم عناء تشغيل عقولها لأخذ المعلومات بمنطقية، وتفهم ما يدور حولها دون تأثيرات خارجية، وتتلقى المعلومات الجاهزة والمفصلة لهم من جهات ودول استعمارية تخطط لتدمير هذه الأمة، وتستخدم عملاء لها من قلب المنطقة متاجرين ومرتزقة طامعين بمناصب.

هكذا كانت نظراتها تقول له وهي محدقة به ، لكن لا بد أن ترد على طارق الذي كان ينتظر جوابها.

أطلقت صوتها المذبوح وبشيء من العصبية والانفعال :
قالت له : أود قبل أن تأخذ معلوماتك من مجموعة مرتزقة لبنانيون وأسيادهم الأمريكان والصهاينة أن تسأل نفسك ؟ من هو المستفيد من اغتيال الحريري؟ فيأتيك الجواب.. ومن المتضرر اليست سورية هي المتضررة من جراء هذه الفعلة، وقد أصبحت مرمى لسهام أمريكا وأعوانها، أليست سورية هي المستهدفة بغية ارضاخها وارغامها على تقديم الطاعة إلى أمريكا التي طوت كل الدول العربية تحت أجنحتها ولم تبق سوى سوريا، ثم لو عدنا إلى المرتزقة في لبنان وجدنا خيرات الجريمة قد غمرت عصابة ١٤ أذار الذين بعضهم أصبح شيخاً واعتلى منصباً ومنهم من خرج من سجن خيانته وراحوا يطلقون على أنفسهم صفة الوطنيين وهم بالماضي القريب باعوا لبنان لإسرائيل متآمرين على حتراقها وقتل شعبها لولا اغتيال الحرير لما اعتلوا المنابر وانطلقت أصواتهم الوقحة فهل بعد كل هذه الأشياء التي تشير إلى أن الذي ارتكب هذه الجريمة لتمرير خطط

كبيرة وكثيرة في المنطقة العربية. هل لعاقل أو مدعي ثقافة أن يسأل هذا السؤال الساذج؟ لأن قتل الحريري قد ظهرت نتائجه منذ أول يوم على الساحة اللبنانية.

احتقن وجه طارق خجلاً وراح يفرك أصابع يديه وهمس بصوت خجل وكلمات مرتبكة :

نحن بعيدين عن الساحة ونأخذ معلوماتنا من الإعلام والفضائيات وأنت أدرى بما قامت به قوى ١٤ أذار وأنصارها ضد سورية.

قالت له بشيء من العتب واللوم : وأيضاً سوريا نفت هذه الجريمة وقدمت براهين على براءتها وأشارت إلى الأيدي الخفية التي لعبت هذه اللعبة القذرة لاصطياد سورية. لماذا لم تصدقوها وصدقتهم ادعاءات كاذبة مشغول عليها إعلامياً. إنكم لم تصدقوا سوريا لأنها صادقة وصوت الصدق والحق ضعيف لم يصل إليكم وإلى العالم لأن الأمة اعتادت أن تصدق الأكاذيب لأن صوتها عالي وقوي بما يحمله من إرهاب للشعوب

مستخدمة قوة إعلامها مستغلة ضعف إعلامنا وتعامل بعض المحطات لصالحها.

أريكه الخجل فصمت قليلاً ثم قطع صمته قائلاً: رشا أنا آسف على سؤالي، ولكن يقع اللوم على الإعلام العربي الذي لا يوصل صوت الحق بل يستخدم إعلامه لصالح العدو ودول الغرب .

رشا أكرر أسفي واعتذاري فأنا لا أقصد مضايقتك أبداً..

تنهدت رشا بعمق وقالت له : لا داعي يا طارق للأسف فأنت صديق عزيز ومؤكد أنك لا تقصد المضايقة فقط هو اختلاف في المفاهيم.

قال لها : الحق أن ما تقولينه يستحق التفكير ملياً وعلينا عدم التسرع في الحكم على الأمور.

هدأت رشا قليلاً.. كانت رشا تحرص دائماً أن لا تدع أي خلاف في الرأي أن يفسد صداقتهما وأثناء الحوار كانت تجلس فتاتين وشاب على مقربة منهم.. فكانت تتابعهما برقة شديدة وقد أخرج الشاب جهاز كاسيت صغير إنبعث منه صوت فيروز الجميل (شايف البحر شو كبير

قد البحر بحبك) بعد انتهاء صوت فيروز انطلق صوت صباح فخري العظيم يترنم ، (يا مال الشام يلا يا مالي) وتوج جمال النغم صوت عبد الحليم وهو يقول (عاشق ليالي الصبر مداح القمر) تشابكت العواطف وسرحت الأرواح الثلاثة في عالم فرقته السياسة وجمعته أصوات عظيمة وكلمات ساحرة رقيقة وجدانية تجمع المشاعر وتقرب الأرواح.

نظر طارق إلى رشا وقال : أتسمعين صوت العندليب ما أجمله ؟

ردت رشا وابتسامة مودة ودفء : سمعت رقة وجمال صوت ريا الجمال ؟

قفزت مها قائلة بمرح وحب الله ما أجمل أن يجمعنا الفن حيث تفرقنا السياسة ويخزلنا الحكام وتقزمنا سياستهم.

وتابعت مها قائلة : أرأيتما كيف جمعنا صوت فيروز والعندليب وريا الجمال وصباح فخري ، بعد أن كاد يفرقنا حديث السياسة ويشد أعصابنا ؟؟

ابتسمت رشا وهي تنظر إلى ساعتها قائلة : لقد تأخر بنا الوقت، هيا بنا..

ركب الثلاثة سيارة طارق وانطلقوا تدفعهم سعادتهم ودفء مواقفهم إلى الغناء والمرح. في طريق العودة دخلت رشا غرفتها، أطبقت أجفانها على حلم لحظاتها وفرحة مشاعرها، لقد لاقت الكثير من الاهتمام والمحبة من الأشخاص الذين التقت بهم، لقد كانت قلوب عشاق ومحبين كثيرة خفقت لها، والتفت حولها. التهبت بعشقها وغرامها وكأنها تحب فيها روعة وجمال سورية نامت على صورة برج القاهرة الأسطوري يرفرف بين أجفانها، وعندما وقفت في يومها الثاني مع صديقيها في آخر دور من البرج راحت تجول بنظرها إلى سحر وجمال النيل وهو يتهادى بغنج ودلال بجانب البرج.

رسمت لوحة فنية بين أجفانها لفتها السعادة انطلقت الفرحة من عيونها واعتلت الغبطة وجهها فانغمست بروعة الصمت الحالم الذي حلق بها إلى عالم خيالي. عادت إلى غرفتها تحملها السعادة على جناح اللهفة لأن

ترى كل مكان في هذه المدينة الساحرة التي كانت ضيفة أحلامها وقد تجلت تلك الأحلام في رحلتها في احدى المراكب مع صديقاها اللذان لم يفارقاها إلا ساعة النوم رأت رشا كل جمال الدنيا فيها ضحكت من أعماق روحها وتشابكت مع رذاذ الماء وهي تلتقط الصور وغمرها صديقاها بكل رعاية وحب.

لقد تعرفت عليهما منذ أول يوم وصلت به وقد كرسا وقتيهما لمرافقتها وتقديم كل ما تحتاج. إنهم أبناء مصر المضيافين وكانت رشا تحلق بها السعادة وهي تلمس حبهم لشعب سورية بشكل خاص وتقديرهما لكل سوري، وهذا ما تجلى بتعاملهما معها وكأنها جزء منهما، وكانا دائماً يقولان لها إننا نحب شعب سورية العظيم حباً كبيراً وكانت رشا تلمس هذه المشاعر من كل فرد تقابله، وهذا ما رأته في أول ندوة ثقافية حضرتها عندما استقبلت بعاصفة من التصفيق عندما قدمت على أنها من سورية تعمل في حقل الصحافة والأدب.

تستطع رشا حبس دموعها الفرحة وهي ترى كل هذا الحب الذي تحاط به ويكن شعب مصر لشعب سورية عمق المشاعر. جلست تستمع إلى فقرات الندوة وكان بين كل فقرة.وأخرى توجه إليها كلمات الترحيب والمديح ولشعب سورية فكانت الغبطة تغمر روحها. إنها حقاً لحظات رائعة لا تجيد المفردات وصفها إنه تلاحم روحي وفكري وثقافي متجانس يربط بين هذين الشعبين، شعب مصر الذي يحمل ثورة العروبة، وحلم التلاحم مع الشعوب العربية وقد أدهشها الاحتقان الوطني الذي يفجر صدروهم ضد كل ما يدور داخل وخارج مصر. لقد لمست رفض هذا الشعب لكل ما وصل إليه القادة العرب من انكسار واستسلام وعبودية، تحت أقدام الغرب، وقد تمثل هذا بالكلمات التي نطق بها كل من قابلته وهي الإشادة بقائد بلدها العظيم ومواقفه الثابتة وتحديه وهذا ما أثلج صدرها ورفع رأسها عالياً لقد شعرت بداخلها بعزة لأنها سورية فتساقطت الدموع من عينيها فرحاً بهذا الشعب العظيم الذي يتطلع إلى سياسة

عربية أفضل ويأمل صحوة من هذه الغفوة، وفخراً في قائد بلدها الذي عشقت مواقفه الشعوب العربية الشريفة والمناضلة، كانت السعادة ترقص على صفحات وجهها النشوة العارمة تحملها إلى حلم تتمنى أن يتحقق وهو توحد الأمة العربية.

لقد اختلطت الأشياء في داخلها، رشفت ابتسامتها قطرات دموعها عندما رأت نفسها تحاط بكل هذا الحب وهذه الرعاية، ردت على هذه العاطفة المتدفقة بالشكر العظيم والامتنان لما قدم لها. لقد تعثرت الكلمات على شفتيها وهي تقدم شكرها لراعي الندوة والحاضرين فيها وعندما خرجت مع صديقيها عبرت لهما عن سعادتها وفرحتها بما لاقته وكانت دموعها ترافق كلماتها وهي تقول:

مها لست أدري كيف أعبر لك عن عمق سعادتي بما أراه، إنكم شعب رائع يا مها والتفتت إلى طارق وهي تقول له أما أنت يا طارق لا أدري كيف أرد لك كل ما قدمته لي من رعاية ومحبة. قال طارق: وابتسامة حلوة

تطوف على وجهه إن هذا واجباً يا رشا وأنت أخت غالية واعتبري لك أهلاً هنا، عندما عادت إلى غرفتها. استلقت فوق سريرها وراحت تسترجع الأيام التي أمضتها،.والسعادة تحلق بها، غير أن شيئاً ما قد عصر قلبها وهو اقتراب موعد سفرها.

لقد مضت تلك الأيام بسرعة واندفاع، وها قد اقترب يوم الرحيل عن هذا البلد الذي امتلك كل إحساسها وسكن في روحها، غاص قلبها من فكرة السفر، نامت على هذا الهاجس الذي انتزع من نفسها متعة يومها استيقظت على هاجس نفسها وفرحة صباحها لأنها ستلتقي مجموعة من أصدقائها وصديقاتها، بددت فرحة لقائهم حزن الفراق، تبادلت معهم حديثاً طويلاً ممتعاً، ومع ذلك كان شيء مؤلم يغمر نفسها وهو اقتراب الفراق وبينما كانت تتشابك هذه المشاعر في نفسها التي أخذتها من الجلسة، تنبهت على صوت أحد الجالسين وهو يدخل في حوار سياسي حول الوضع العربي العام وما يحدث به من توتر وما تشهده الساحة العربية من

عـدوان واحـتلال للعـراق وفلـسطين ، والتهديـد لـسورية نتيجـة لتمـسكها بمواقفهـا ، وكـان مجـرد كلمـة عـن هـذا الجانب كفيلة بأن توقد النار في داخلها ، فنست كل شعور وانخرطـت معهـم في حـوار طويـل ، فكانـت المرارة تغـذي نبرات صوتها ، ولكن ما لبث أن تحـول مجرى الحـوار إلى الإبـداع والفـن ، فطـرح أحـدهم وهـو صـحفي وكاتـب سـيناريو ، أن تقـوم معهـم بكتابـة عمـل درامـي مـشترك يتـضمن كـل مـا يحـدث مـن أمـور سياسـية علـى الـساحة العربيـة ، فأشـرق وجههـا للفكـرة ، واسـتقبلتها بترحـاب شديد ، ومازحها أخر قائلاً : وهذه فرصة كي تبقى معنـا ولا تغادرنـا. طافـت علـى وجههـا ابتـسامة زاهيـة بيـضاء تحمل الكثير مـن الـسعادة والبهجـة ، قالـت هـذا مـا أتمنـاه. حملتها الفرحة وحلقت بها بعيداً ثم أردفت قائلة : إنـني على أية حـال يجـب أن أسـافر ثـم أعـود لإتمام المشروع ، وإذا كـان مـشروع التوحـد الـسياسي بـين الأنظمـة العربيـة حلم بعيد المنال فلا بد للشعوب أن تتوحد ، ونحن الأدبـاء والإعلامـيين يجـب أن نتوحـد في كـل عمـل يفيـد الأمـة.

ولكن رشا لم تقف فقط عند هذه الأمور، ولم تنشد من زيارتها إلى مصر الفسح والتجول في المناطق السياحية والأثرية، وإنما كانت تتوق نفسها لأن تدخل كل بيت فقير، وتشارك كل فرد همومه، وتسمع تفاصيل أي مشكلة، وقد فعلت. لقد ذهبت إلى أحياء شعبية والتقت عدد من هذه المجتمعات واطلعت على كيفية حياتهم، وسعدت لابتسامتهم، وتألمت لشكواهم. عشقت نقاءهم وصفاء أرواحهم، أحبت عطاءهم الوجداني رغم حاجتهم ومعاناتهم الحياتية. انسابت في عالمهم الذي أضاف إلى رحلتها شيئاً جميلاً ومحزناً في أن واحد، وقد حزنت لفراقهم، وقد جاء يوم سفرها، انطلقت إلى مطار القاهرة وقد رافقها عدد من الأصدقاء فكان الوداع، فاضت الدموع فخرجت أخر جملة أطلقتها رشا سوف أحمل حبكم هذا معي، أخذته داخل روحي كي يكون دافع أن أعود إليكم، إلى هذا البلد الرائع، مهما كانت المسافة بيننا بعيدة ستظل قلوبنا قريبة من بعضها يحتضننا حلماً واحداً، نعيش لهدف واحد تجمعنا

تطلعـات مـشتركة، وهـي إلغـاء الحـدود الجغرافيـة، وصمتت لأن صوتها قد مزقته نبرة البكاء، وانسحبت من بينهم كما تسحب الروح من الجسد وتوارت بين جمع المسافرين وعندما حلقت بها الطائرة كانت الدموع قد حجبت عنها الرؤيا.



احتراقات حدائق الروح

مـا أقسى الأيـام واللحظـات الـتي تمـر علـى روح تائهـة وقلـب خـال مـن المشاعر متحجـر لا يعـزف علـى أوتـاره الحـب وروح لا تغـرد علـى أغـصانها نغمـات العـشق ، وقلب لا يلفه حريق الشوق هكذا كانت أيام وليالي وفـاء الـتي لم تعـرف لحظاتهـا نفحـات الهـوى ، وتتنـشق عبـق الحب إلا بعد سنين طويلة مـن جفـاف القلـب ، وصـحراء الـروح حـين سـافرت في رحلـة سـياحية علـى بلـد عربـي تضج فيه الحياة وتغفو بـين أهـداب لياليـه الأحـلام وتحلـق في سماءه الروح.

استيقظت الحياة في أيامها ، وأشرقت الشمس الدافئة على شـواطئ أحلامهـا ، وأذاب الجليـد مـشاعرها في أمـسية جميلـة خفـق قلبهـا لـه مـن بـين عـدد مـن المجـتمعين ، احتـضنت مركبتـه الـتي أبحـرت بعيـداً في عينيهـا ، فتحـت أحضانها تضم أمواج شوقه لنسج حبها.

كان يحمل صفات تميز بها عن كثير من الرجال، أحبت روحه المرحة المحبة للحياة المنطلقة وكأنها فراشة تتغلغل بين أوراق الزهور، عشقت صدقه وطيبة قلبه وتدفق عواطفه الملتهبة، كان يفهم ماذا تريد وما هي الأشياء التي تسعدها لمجرد النظر إلى عينيها، فيقدمه لها قبل أن تطلب.

حطت رحالها على شواطئ قلبه بعد أن تعبت قدماها من السير والبحث عن مأوى لروحها، وسكن لقبها، فكانت المحطة الحلم.

استسلم قلبها لفيض عشقه، ونامت مشاعرها بين أهداب هواه.

سارت المشاعر بهما بعيداً، ورقص الحب في عالم عشقهما، كانت تمضي بهما الأيام لحظة والشهور ومضٌ والعشق يكبر ويتسع وكأنه يضم العالم بينْ أجنحته، ويحلق بفضاءات الروح، وفي غفوة من الزمن السعيد والأيام المفرحة، اقترب موعد سفرها، جلست مع حلم أيامها ومنى روحها، قالت له: أشرف لست أدري يا

حبيبي ، كيف مضت بنا الأيام ، وتلتها الشهور بهذه السرعة ، إن أيام السعادة تمر بسرعة ، لست أدري أيضاً كيف يمكنني الحياة وأنا بعيدة عنك.

كان الحزن يغزو صوتها والدموع تملئ عيونها ، أمسك أشرف بيديها وضمها إلى صدره وقال لها بصوت ممزق :

- وفاء إن كل سنين عمري التي مضت قبل أن ألقاك ليس لها معنى والحياة لم تكن حياة ، والأيام ليست أيام ، لم أشعر بطعم الحياة إلا بعد أن التقيتك ، إن حبك جعل لحياتي قيمة وأيامي معنى لذى يا حبيبتي من المستحيل أن أبتعد عنك أو أعيش بدونك ، لقد أصبحت كل حياتي وفاء ، يجب أن نجد حلاً لوضعنا ، يجب أن تبقي هنا ، لن أدعك تعودي إلى بلدك.

قالت له : كيف يا أشرف أبقى هنا؟ عندي التزامات في بلدي ، بيتي ، أولادي وعملي ، وأيضاً بلدي الذي لا أستطيع العيش بعيدة عنه.

اعتصر يدها بقوة وقال لها : لا لا .. لن تسافري ، هل أهون عليك ؟ هل تستطيعين البعد عني ؟ أجيبي : هل يهون عليك بعدي ؟ قالت له والألم يعتصر قلبها :

- أشرف يعز عليّ بعدك ويؤلمني فراقك ولكن لا بد لي من العودة إلى بلدي ، إن قدري التعيس جعلني يوم يعرف قلبي الحب أحب رجلاً من غير بلدي كي يزيد عزابي.

ضمتها نظراته الحزينة الحيرى واحتضنها قلبه الملتهب ، قال وفاء فكري معي ، حاولي أن تساعديني على وجود حل ، قالت له :

- أشرف لا فائدة من التفكير وضعنا ليس له حل ، إن أموراً كثيرة تربطني ببلدي ، وأنت أيضاً لديك أمور كثيرة وقوية تربطك ببلدك فكيف نجد حلاً لهذه المشاكل المعقدة ؟

صمت لحظة قال بعدها : هناك حل واحد ، قالت له : ما هو ؟ قال بصوت يقطر حباً :

- الحل الوحيد هو الزواج، اهتز قلبها، رقصت الفرحة في عينيها، اختلطت بها المشاعر وراح لسان حالها يقول : آه يا أجمل حب في حياتي، يا أروع رجل رأيته، لست أدري هل أفرح لهذا الطلب أم يمزقني الحزن ؟ ليتني أستطيع الزواج.

أيقظها من شرودها قائلاً : وفاء لماذا أنت صامتة؟ لماذا هذا الوجوم الذي يدخل إلى قلبي الخوف؟ أجيبي، بماذا تفكرين، ألست فرحة لهذا الطلب ؟ همست له من خلال المفاجأة التي أخذتها، ماذا تقول ؟ زواج ؟ قال بسرعة أجل ! الزواج هو الوحيد الذي يحقق سعادتنا، ويحل المعضلة التي نحن فيها.

طافت على ثغرها ابتسامة باهتة حزينة، وقالت له : وهل تظن بأن الزواج هو الذي يحل المشكلة ؟ قال أجل ! وهل هناك شيء يمنع هذا ؟ أو يقف عثرة ؟

غرقت بصمتها وتاهت في طريق أفكارها، إنه يتكلم بتفاؤل ويسأل هل من مانع؟ كيف لا يوجد ألف مانع؟ كيف أستطيع أن أمضي حياتي في الغربة؟ كيف أستطيع

البعد عن أولادي الذين أخذوا كل أيام عمري؟ وعشت لهم ومن أجلهم؟ ولم أعد تجربة الزواج مرة ثانية، وقد رفضت الكثير من الراغبين بي، صحيح أن أشرف غير كل الذين تقدموا ليّ لأنه حبيب روحي، ونبض قلبي إنه هو الذي استطاع العزف على أوتار قلبي، واحتل عمق مشاعري، لقد كان ضيف أحلامي منذ سنين طويلة، كنت قد رسمت له صورة في خيالي، عشت معها كل أيام عمري، انتظرته انتظار الأرض القاحلة للشتاء، انتظرته انتظار الروح للحياة، ولكن ماذا أفعل؟ إن الاختيار صعب ومرّ، كان أشرف ينظر إليها منتظراً جوابها، إن سعادته معلقة على ضفاف شفتيها، مدّ يده ولامس كتفها ثم قال لها : وفاء ما هذا الصمت؟ أجيبي، هل أنت موافقة؟ رفعت رأسها وراحت تنظر إليه نظرات تحمل عزاب روحها وفرحة قلبها، قالت له : أشرف لست أدري ماذا أقول لك؟ إن حزني يساوي فرحتي، لقد اختلطت أشياء كثيرة في داخلي إلى درجة لا أدري إذا كنت سعيدة بهذا الطلب أو حزينة.

وقعت كلماتها كالصاعقة على نفس أشرف، حجمت اندفاعه، قتلت الفرحة في عينيه، قال لها : ماذا تقولي يا وفاء لقد أوقعت الرعب في قلبي، ماذا هناك ؟ أوضحي لي.

قالت له : أشرف أنت لا تعلم مدى سعادتي وكبر فرحتي بطلبك هذا ولكن هناك أمور كثيرة تقف في طريق هذا الزواج.

قال لها : وما هي؟ إنني لا أرى أي مانع، قالت له : بل يوجد أولادي.. أتظن أن يكون وقع هذا الخبر مريحاً لهم ؟ أو سوف يتقبلوه ؟ زد على ذلك هو أنني لا أستطيع أن أمضي حياتي في الغربة ثم هل سيكون موضوع الزواج بالنسبة لك طبيعياً ولا مشاكل وراءه؟ قال لها : أنت لا تحملي همي أنا أعرف كيف أحل مشاكلي مع أسرتي المهم أنتِ.

قالت له : ولكن أنا كيف أحل مشاكلي مع الأولاد إذا رفضوا ؟ قال : ولماذا يرفضون ؟ من حقك الزواج. قالت : إنها أنانية الولد يا أشرف وأنا أموت من

غيرهم، قال لها : إذا كان هذا هو الأمر فسوف نجد له حلاً، وفاء أنا أفعل أي شيء من أجلك إنني أمد يدي وأقطف لك نجمة من السماء. همست قائلة : إنك دائماً تفهم ما أريد دون أن أتكلم، ولكن يوجد صعوبة كبيرة في طريق زواجنا، قال لها : أتركي أي شيء علي وأنا أجد له حلاً. بقي الأمر بينهما معلقاً، لم يبت به.

في أحد الأيام حدثت لوفاء مشكلة مع أصحاب الشقة، فاتصلت بأشرف وقصت عليه ما حدث وقالت له : سوف أترك هذه الشقة اللعينة هذا اليوم أو غداً على أبعد حد، وطلبت منه أن يساعدها في البحث عن شقة، قال لها : اهدئي يا حبيبتي، لا عليك ولا تضايقي نفسك، سوف أجد لك شقة، ثم سوف أتصرف مع هؤلاء الحقراء.

مضى اليوم ولم يتصل بها أو يأتيها بخبر عن حل لمشكلتها فاتصلت به تسأل عن وضعها فوجدته قد نسي الأمر منغمساً في عملاءه وتجارته، ضاقت نفسها من موقفه وهي التي كانت تظن بأنه سوف يترك الدنيا بما فيها

ويسرع إليها يحملها ويضعها بقلبه قبل بيته، تساقطت دموعها من نار قلبها وحملت حقائبها وخرجت من الشقة تجوب الفنادق كي تجد غرفة تؤويها، وجدت فندقاً مناسباً حجزت به، وضعت حقائبها، ورمت نفسها وفق السرير، وراحت تفكر بقهر، فقد امتلكها الغضب، رفعت سماعة الهاتف واتصلت بصديقتها نادية وحكت لها ما حدث، راحت نادية تلومها قائلة، وفاء ماذا أصابك، كيف يحدث معك هذا ولم تتصلي بي وتخبريني أنك سوف تتركي الشقة، كنت جئت وأخذتك إلى بيتي، كيف تحجزي في فندق وأنا موجودة، شكرتها وفاء كثيراً وقالت لها : نادية لا بد من أن أجد مسكناً، راحت نادية تخفف من غضبها وتقلل من حجم موقف أشرف، ملتمسة له أعذار، قالت وفاء بعصبية وغضب : ليس له عذر، كان من المفروض أن يترك كل شيء ويسرع إليّ أنا في بلدكم يا نادية ولست في بلدي، إني غريبة والواجب أن يقوم هو به لأنه أقرب إنسان إليّ، حاولت نادية الدفاع عنه غير أن وفاء أسكتتها قائلة : نادية لا تدافعي

عنه، أنا من يعرف حجم موقفه، لم تهدأ نفس وفاء وظلت ثائرة كالبركان، مضى اليوم الأول ولم تتصل به، استغرب أشرف من عدم اتصالها فاتصل بها يسأل عنها، لم ترد عليه، كرر الاتصال بها، لم ترد أيضاً اتصل بصديقتها نادية لكنها أوصتها أن لا ترد عليه كي لا يعرف طريقها أو أين تقيم، كانت تريد الابتعاد وعدم الكلام معه ريثما تهدأ أعصابها كي لا تتلفظ معه بكلمات جارحة أو يرى غضبها فآثرت الصمت والابتعاد لكن أشرف لم يفهم هذا، فأخذ موقفاً منها وقطع الاتصال بها.

مضت الأيام ولم يتصل بها هالها موقفه هذا فازدادت عصبية وغضباً، مرت عدة أيام على وفاء كأنها دهر، كواها نار البعاد، وحرقها لهيب الشوق، وجرح حلقها مرارة موقفه تجاهها فحاولت أن تشغل وقتها مع مجموعة من الأصدقاء علها تستطيع إبعاده عن تفكيرها، لكن كل هذا لم يفد مع قلبها الذي كان كل يوم يزداد لهيباً، وتتسع جراحه، كان قلبها يصرخ ويئن أنين المحتضر،

ولكن عقلها كان يرفض هذا الشوق ويخمد نار الحنين، قررت وحزمت أمرها أن تنساه، أن تخلع قلبها من صدرها وترميه تحت قدميها، شغلت كل وقتها مع أصدقائها، كانت تجوب المدينة نهاراً وتسهر إلى ساعة متأخرة، وكان كل من يتعرف عليها يرتمي قلبه بهواها، ويعشق أنوثتها، لكن هي لم ترَ ولم تسمع إطراء وغزل المحبين والمعجبين بها.

كان قلبها يرفرف في حديقة حب أشرف وروحها تحلق في فضاءات روحه وسجنت نفسها في محراب حبه ورغم كل هذا الحب وتلك الأشواق لم تنس ما صدر منه وظلت متمسكة بموقفها منه، مضت أيام كثيرة وشهور عدة أرجأت سفرها فيها، لم يتكلم أشرف أو يعتذر لها وحين كانت نادية تحاول الإصلاح بينهما وتقول لها وفاء ما رأيك أن أتصل به أنا وأجمعكما كي تصفو القلوب فترد وفاء قائلة : أقسم لو كان في هذا الحب حياتي بعد الموت لن ولن أعود إليه طالما هو بهذا الشكل.

كانت النار تأكل قلبها والعذاب يدمر نفسها ، لم تعد ترى طعماً للحياة أو السعادة لأيامها أصابها الضجر ، تذهب إلى فسحة في أماكن تعشقها لكن عذاب نفسها تحجب عنها نفحات السعادة والفرح فتهرب منه ضجرة لا تستطيع الجلوس فيه قليلاً ، وتخرج منه تبحث عن مكان آخر ويصيبها ما أصابها في المكان الأول ، لم تعد تتذوق أي شيء جميل ، أما أشرف فقد كان عذابه أشد ،أقوى من عذابها كانت صورتها لا تفارق خياله يراها أمامه تكلمه تضحك له بعينيها اللتين كانتا مصدر عشقه ، كانت تأتيه بصورة أيامها وكل لحظة أمضياها مع بعض ، ضجر من كل شيء حوله ، شعر باكتئاب وحزن دمر نفسه ومع ذلك ظل مصراً على عناده وقال لن أتصل بها قبل أن تتصل وتقول لي لماذا لم ترد على مكالماتي ، إذا كنت قد أخطأت معها لماذا لم تعاتبني ، تثور في وجهي ؟ لماذا هذا الصمت والقطيعة ؟ كان يردد هذا مع نفسه ولكن عندما طالت الأيام ومضت شهور قليلة وهما في قطيعة اتصل بصديقتها نادية والحج محمد الذي كان بمثابة

أباً روحياً لها ، كان الحج محمد رجلاً فاضلاً وقد كان يقرأ حبه في عيونها فاحتضن وضعهما ولفهما بـرداء الأبوة وقد طلب أشرف من نادية والحج محمد أن يتدخلا في المصالحة ، قال الحج محمد له ، إنك محقوق يا أشرف ولم يكن منتظراً منك أن تتصرف مع وفاء هكذا وأنا غاضب منك كثيراً ، إنك تعلم بأن وفاء هي بمثابة ابنة لي ، وأنا لا أسمح لأحد أن يضايقها أو يسبب لها ألماً رغم أنك غالي علي ولكن وفاء في رعايتي.. اعتذر له أشرف وراح يقدم له مبرراً لتصرفه هذا ، قال الحج محمد : حسناً سوف نتدخل أنا ونادية وآمل أن يزول أي خلاف.. اتصلت نادية بوفاء طالبة منها أن تأتيها لأمر مهم ، قالت وفاء : حسناً ولكن هل لي أن أعرف ما هو هذا الأمر ، قالت لها نادية :

- إن الأمر لا يحل عبر الهاتف ، تعالي وهنا تعرفي.

ذهبت وفاء إلى صديقتها وهي في حيرة ما هو هذا الأمر ، دخلت وفاء وفي عيونها ألف سؤال ، جلست بقرب نادية وهمست لها ها ما عندك؟ هل يوجد مشكلة؟ ابتسمت

نادية وقالت لها : وهل يوجد مشكلة سوى أنت وأشرف.. تابعت قائلة : وفاء إلى متى ستظلان هكذا ؟ هو يحبك وأنت تحبيه.. فلماذا هذا العناد ؟ الرجل اتصل بي ومع الحج محمد وطلب أن نرتب اجتماعاً لكما وتتصافيان.. اكفهر وجه وفاء وأطرقت قليلاً ثم انفجرت قائلة :

- نادية هل ما تقولينه يرضي امرأة محبة. أنسيتي ما صدر عنه ؟ قالت لها نادية : يا وفاء يا حبيبتي إنني أعلم فهو محقوق ولكن يجب أن تحل هذه المشكلة بينكما ، انفجرت مرة أخرى وقالت لها : نادية ماذا تقولين ؟ لماذا لم يتصل بي بدلاً من أن يتصل بك أو بالحج محمد ؟ هل أمرنا يحتاج إلى وسائط ؟ إنه المخطئ وعليه أن يتصل بي ويعتذر، وأقسم لن يعود الوضع بيننا كما كان إلا إذا اتصل واعتذر.

قالت لها نادية :

- يا وفاء إنه زعلان منك لأنك علمت بأنه مريض ولم تتصلي به، وأيضاً هناك أشخاص قالوا له بأن أصحابك الجدد قد أخذوك منه وأنك لم تعودي تفكري به لأن أصحابك الجدد يحاولون إغراءك بأموالهم الطائلة، ويعرضون عليك مغريات كثيرة كي يشدوك نحوهم.

طافت على وجه وفاء ابتسامة صفراء ساخرة، وقالت لها : ألم يقولوا له أيضاً إنني أحببت أحدهم، هل هذا كلام رجل يحمل ذرة من العقل، إن تفكيره غبي وساذج، كيف يتصور هذا ألا يعلم بأنه هو كل حياتي وأن كل مغريات الدنيا لا تساوي لحظة حب معه ألا يعلم بأن قلبي أسير حبه، وأني أعيش في محراب قلبه ؟ ثم لم أرَ هذه المغريات من قبل ؟ إنني أحبه وأسير في طريق عشقه، كيف يصدق هذا ؟ كيف يتصور أنني ممكن أن أرى في الدنيا أفضل منه؟ أنا لا يعني المال يا نادية وأنت تعلمين ذلك، وهو أيضاً يعلم كل ما أريد، أريد أن أعيش هذا الحب الذي طال انتظاري له، قالت نادية :

ومع ذلك أنت متمسكة بعنادك يا حبيبتي تنازلي قليلاً وهو يتنازل قليلاً من أجل هذا الحب كي لا يموت.

أطلقت وفاء زفرة حارة أحرقت صدرها وقالت بكبرياء : لن أتنازل وأكون في موقف الضعف مهما صرخت جراح قلبي، لن أعود إليه مهما عذبني هذا القلب واحترقت مني الروح.

وإذا أحسست بأن قلبي يحاول التغلب على كرامتي سوف أنزعه من بين ضلوعي وأمزقه، باءت كل محاولات صديقتها والحج محمد الذي حاول كثيراً إقناعها بالفشل وكان لا بد من إن يأتي يوم سفرها حزمت حقائبها وانطلقت إلى المطار محاولة للمة جراحها وإقناع قلبها بأن ينسى ويخرج من هذا البلد، الذي شهد أجمل أيام حياتها وأسعد لحظاتها، أرادت الهروب منها وكأنها تهرب من موجة حريق اندلعت خلفها، نظرت إلى المدينة الساحرة التي كانت شاهد حي على أجمل قصة حب في زمن لم يبقَ للحب مكان فيه وهو الآن يشهد على إعدام قلب طال انتظاره للحب، عالجت دموعاً احترقت.

لقد جئت إلى هذه البلد فوجدت حب امتلك كل كياني وعشت في سعادة وهناء لم أعرفه في حياتي عشت حلماً خرافياً وسعادة لم أعرفها، ولكن خرجت منها بخسارة قاتلة وجرح لن تشفيه سنيني القادمة.

وداعاً أيتها البلد الجملية التي عشت فيها حلماً خيالياً وحباً ملء فضاءات أفكاري رغم فجيعتي على أرضك إلا أنك سوف تظلين حلماً لروحي وحباً في وجداني.



العفاريت

جلس حمد أمام التلفاز يقلب في القنوات الفضائية وكانت معظمها تبث دعايات سيارات جديدة قوية وأحدث ما وصل إليه الاختراع العلمي والتكنولوجيا الصناعية وأنواع لا تحصى جديدة من المواد الغذائية التي ترسلها لنا دول الغرب أمريكا وأعوانها التي بضائعها غذت أسواقنا العربية ، سرح حمد بخياله وهو يشاهد هذه الأشياء التي أصبحت جزءً من حياتنا اليومية ، عاد حمد في خياله إلى الماضي البعيد إلى العصور القديمة والحياة البدائية للإنسان القديم غاص في أعماق الماضي وبينما هو ينقب في تعرجات التاريخ وإذا به يرى عرشاً برز له من عمق التاريخ تجلس عليه امرأة تتحلى بجواهر وماس يوازي ميزانية دولة وعرشها المرصع بالذهب والماس لدى رؤيته لها أطلق شهقة قوية برزت عيناه إلى الأمام وراح يحاكي نفسه من هذه ومن أي عصر أتت انتشله حضورها

من ذهوله وهي تصرخ به قم أيها الصعلوك كيف تجلس
في حضرتي أيها الوقح لملم حمد نفسه وراح يزحف على
رجله ويديه وهو يرتعش قالت له من أنت وما هذه
الملابس التي ترتديها نظر إلى نفسه ونظر إليها وقال
بصوت متقطع بل من أنت ومن أي عصر أتيت قالت أن
الملكة كليلو بترا ألم تسمع باسمي قال بلى لقد قرأت
عنك في كتب التاريخ ولكن كيف أتيت، قالت أنا هنا
قابعة في عمق التاريخ أترقب وأرصد ما يحدث في
العصور التي تأتي بعدي قال إذاً لا بد وأن تكوني قد
علمت بما حدث في العصر الحديث والتحولات التي
طرأت عليه تنهدت بقهر وحسرة وقالت لا وقت لدي
الآن للخوض في هذه التفاصيل لو ذكرتها الآن ستجعل
التاريخ يلعنكم ويخجل منكم ومن ما يحدث سوف
نتحدث بها فيما بعد الآن اذهب وأعد لي مركبة وحصان
سوف أقوم برحلة عاجلة وقل للخدم أن يعدوا لي طعام
الرحلة ويجهز المرافقون، قال لها بصوت خافت لماذا عربة
وحصان إنك ملكة وتركبين عربة يجرها حصان، قالت

وماذا تريدني أن أركب قال سيارة ألم تسمعين بها ألا
ترين وهو يعلن عن آخر موديل سيارة صنعت وأرسلت
لنا قالت أنا أركب عربة وإذا كنت قد قرأت عن تاريخي
تعرف ماذا فعلت فأنتم تركبون سيارة قاطعها قائلاً
وطيارة وهناك صورايخ قالت ومع ذلك ماذا فعلتم ثم ما
هذا التلفاز الذي تتحدث عنه نحن ليس عندنا سوى
الحصان والعربة، قال لها متباهياً نحن أسعد منكم حظاً
عندنا طائرات للسفر البعيد وسيارات تسابق الريح
ومأكل يسيل لها اللعاب تصنعه وترسله لنا بلاد الغرب
قالت مثل ماذا قال نحن عندنا الهمبرغر وكنتاكي وبيتزا
وأشياء يصعب عدها ونشرب البيبس والكولا وأنواع من
العصير كثيرة وأنتم ماذا تأكلون، قالت نحن طعامنا
أفضل نحن نأكل خبز الصاج والسمن الطازج واللبن
والجبن والزبدة واللحم المشوي قال وهل هذا اسمه طعام
إنك ملكة وتأكلين هذا تعالي إلى عصرنا وسوف تسعدين
أكثر، قالت لا أريد عصركم المجنون الذي أصبح الإنسان
فيه آلة، قال لها لكنه أفضل من عصركم أنا سوف أعود

إليه لأنه وفر لي كل شيء مريح قالت ألا تريد مرافقة موكبي قال لا أي موكب هذا الذي تتحدثين عنه عربه وحصان تعالي أنظري إلى الموكب عندنا إنه شيء مثير ومبهر قالت، اذهب قبحك الله إنك تذهب من أجل الهمبرغر والبيبسي ثم ما هذه الأسماء القبيحة للطعام هل تبدلت الأسماء العربية بهذا الشكل قال لا إنها ليست انتاج عربي واسم عربي إنما هي من بلاد الفرنجة كما كنتم تسمونها قالت لعنكم الله ولعن عصركم هذا الذي شوه صورة الإنسانية أخرج من هنا إننا بريئون منكم، حاول أن يخبرها عن أشياء كثيرة ولكنها لم تعطيه فرصة وهي تقول له دعونا في تاريخنا العظيم وعدوا إلى الأسماء القبيحة التي حدثتني عنها خرج وهو يحاكي نفسه قائلاً : اذهبي الله يلعنك كنت أريد أن أخبرك عن أشياء صنعت في عصرنا عن الفضائيات التي تنقل العالم من بلد إلى آخر وما يعرض عليها من الأغاني الحديثة التي تقدمها مغنيات الإثارة وعن نانسي عجرم وهيفا وهبي واليسا وربي وشعبولة كان يريد أن يتباها بعصره

الجميل أمام عصرها الجاف الكالح الذي لا يوجد فيه غير خبز الصاج واللبن، عاد حمد من رحلته الشاقة وهو يقول مالي والماضي سوف أرى المستقبل ماذا به وما سوف يأتي به من تطور تكنولوجي ورفاهية، إنها الغرب التي تخترع ما يعجز العقل عن تصديقه ولكن كيف أرى المستقبل ومن سوف يطلعني عليه وراح يفكر ملياً فقال لا أحد يستطيع معرفة علم الغيب سوى العفاريت أجل هم من يعرف ويعلمني ماذا سيأتي المستقبل به وعاد إلى كلمة ولكن كيف، جاء بكتاب سحر دخل غرفته ومنع أي أحد أن يدخل عليه وراح يحضر العفاريت عن طريق الكتاب، ظهرت له العفاريت، قالوا له أطلب ما تريد قال أريد أن أطمئن على حياة البشرية في السنين القادمة وما سوف نصل إليه من العلم فقهقه العفريت عالياً، قال له حمد ماذا : هل قلت ما يضحك قال له العفريت لو تعلم ما سوف يحدث لما تنازلت وسألت عن مزيد من الرفاهية قال حمد لماذا ما هو مصير العالم مستقبلاً قال هناك حدث سوف يقع وهو أن البترول الذي يقوم العالم

كلـه عليـه واختراعاتـه عليـه سـوف يجـف مـن كـل أنحـاء العــالم وسـوف تتوقـف الـصناعات والمنتجـات وسـبل المواصلات بين الغرب والشرق حتى الشرق الـذي يحتـاج إلى طائرات سوف ينقطـع عـن بعـضه ويعـود الإنـسان إلى الحيـاة البدائيـة بكـل أشـكالها وهـذا بعـد خمسين عامـاً أو أكثر قليلاً جف حلق حمد وهو يسمع هـذا الخبر ثـم قـال له وهو يبلـع ريقـه بـصعوبة إنـي أحلـم بالـسفر إلى أمريكـا سـوف أسـافر قبـل أن ينقطـع التواصـل بـين الـبلاد البعيـدة وبلدنا ، قال العفريت هل تريد السؤال عن شيء آخر قال حمد الله يخرب بيتك ماذا أريد بعد الذي قلته لقـد خربـت البشرية ، قال : أنت من تريد أن تعـرف مـاذا سـيحدث في المستقبل البعيد ، قال له حمـد هيا انـصرف ودعـني أنـسى ما سمعت كي أعيش بهذه الرفاهيـة الـتي حـدثت لنـا قـال العفريت : كيـف انـصرف هيـا اصـرفني أنـت فـلا أسـتطيع الانصراف دون ذلـك صـمت حمـد وقـد شـعر بخـوف مـن تورطه بهذا الموضـوع كيـف يـصرفه فهـو لا يعـرف ولـيس لديه خبرة بهذا الأمـر قـال العفريـت وهـو يـضيق ذرعـاً بـه

هيا اصرفنا لدينا أعمال كثيرة، قال وهو يريد أن يكسب
وقت ريثما يجد حلاً : لحظة أريد منك شيء آخر وعاد
يفكر كم عمره اليوم خمسة وثلاثون وخمسون عاماً
خمسة وثمانون عاماً يصبح عمره، عندما تحدث هذه
المصيبة يكون قد غادر هذا العالم، ويحدث بعده ما
يحدث عاد العفريت ينهره قائلاً هياإما أن تطلب شيء أو
اصرفنا حالاً، عاد حمد من شروده وقال له بما أنك
تعرف ماذا سوف يحدث بعد خمسين عاماً هل لك أن
تعرف ماذا سوف يفعل بوش في السنوات الأربع القادمة
وما كاد أن يسمع العفريت باسم بوش حتى اختفى
عندها أطلق حمد ضحكة عالية وعاد يقلب إلى الوراء
وهو يقول ما أسهل صرفهم باسم بوش.



حلم ليوم واحد

تمر الأيام وتمضي السنين وتطوي بين ثناياها عبق الروح وتطحن رحاها صرح الأماني التي يتطلع إليها القلب وتتوق لها الروح يدور الحلم في فلك اللحظات والثواني ، يتطلع القلب إلى فضاءات نبضاته فيصطدم في جري العمر وكأنه في سباق مع الزمن يركض الفكر والروح تلهث خلفه علها.

تسترق منه لحظات تختطف ثواني أو يوم واحد يريد لها ما سرقه منها الزمن وما أحرقته السنين وكاد الحلم أن يتلاشى وتجف ينابيع القلب الذي تعطش إلى عبق الحب وروعة العشق وفي لحظة رضى وتصالح مع الزمن حمل لها نسائم الهوا ذاك الحلم الضائع والأمل المفقود، اتصلت به كي تنجز عمل معه وعدها بأنه سيأتيها بساعة اتفقا عليها وفي الموعد جاء إلى الفندق كي ترافقه لينجز لها العمل الذي هو مسؤول عنه، اتصل بها في غرفتها،

قال : إني أمام باب الفندق، همست إني قادمة، أعطته أوصافها خرجت من باب الفندق وجدته واقفاً بجانب سيارته الفارهة، وراحت تتلفت وقبل أن تجده تقدم منها قال السيدة شيرين، قالت : نعم، قال : أهلاً.

مد يده وهو بحالة انبهار واعجاب تملكه، احتوى يدها في راحة يديه ضغط عليها وهو يقول أهلاً أستاذة شيرين نورتي بلدنا. قالت له وابتسامة رائعة تشع على وجهها شكراً لك فتح لها باب سيارته، دلفت إليها، أغلق الباب وجلس خلف المقود، دار المحرك وانطلق بها وهو يرحب بها وينظر إليها بما يسمح له مجال القيادة.

قال لها : هل عندك مانع نأخذ فنجان قهوة في مكان هادئ، قالت له : كما تحب، انطلق بها إلى مطعم أحد الفنادق الكبرى التي تغمرها الأجواء الحالمة والأضواء الخافتة وكأنها أعدت إلى عناق القلوب وعشق الأرواح، قدم لها كرسي وجلس بجانبها طلب لها عصير وأخذ له كأس بيرا، أشعل لها وله سيجارة وراح يحادثها بكل أمور المجتمع والحالة الثقافية والفكر في بلده وسألها عن

نفس هذه الحالات في بلدها، تحدث عن حرب العراق وما يحدث به من إجرام وأعمال إرهابية من قبل قوات الاحتلال والمواقف السياسية وعن فلسطين وما يحل بها من دمار وقتل تحت أنظار العالم، طال الحديث بينهما بهذا الاتجاه وكانت تتماوج الدموع في عينها وهي تستعرض هذه الأحداث الدامية عندما رأى سامي الدموع تموج في عيونها قال لها : دعينا من أمور السياسة إني أدعوك إلى سهرة رائعة مع مجموعة من أصدقائي وزوجاتهم أرجو أن تقبلي هذه الدعوة صمتت لحظات، قالت بعدها إني أقبل دعوتك شرط أن لا تتأخر في السهرة قال تحت أمرك، عندما تأمرين نخرج فوراً أنا يهمني راحتك فقط، وراح يتأملها بإعجاب وانبهار كبيرين، إنها رائعة ومثيرة، مدهشة فاتنة.. لقد استحوذت على كل حواسي.. ماذا أفعل ؟.. هكذا كان حاله الداخلي، قال لها شيرين : أريد أن أصارحك بشيء، قل ما تريد قوله، قال : أنا رجل أحب المباشرة في تعاملي ودون مقدمات.. إني معجب بك مبهور وأمل أن

نكون أصدقاء.. أحباء لا تهم التسمية المهم أن نتفاعل مع عواطفنا عندما نشعر بها وتكون صادقة، كانت خجلة في داخلها...

فهي لم تتوقع عواطفه بهذه السرعة وهذه المباشرة في صراحته غير أنها لم تشعره بذلك لأنها رأت فيه الرجل المتفتح الراقي في فهمه لأمور الحياة المعاصرة الراقية وهذا ما جعلها تعجب به أيضاً فشخصيته المرحة القوية رجولته، مركزه الإجتماعي والعملي، ثقافته، هو الرجل الذي كان يطرق أحلامها، أنه يناسب شخصيتها..، فيه رقة وجمال روح أسر تفكيرها لذا عندما أخبرها بما يجول في نفسه لم تستاء كعادتها حين يغازلها رجل أو يطرح عليها موضوع الحب، لم ترفض بل قبلته بابتسامة رضى وقبول مما شجعه على أن يضع يده فوق يدها ويضغط عليها محملاً لمسها دفء روحه ولهفة مشاعره ونبضات قلبه وراحت تحلق به المشاعر وتحمله إلى فضاءات الحب والعشق والذي زود تأجج المشاعر الجو الرومنسي الذي ضمهما، أن احساسه

ومشاعره سبقت الفترة الزمنية التي جمعتهما بل اجتازتها بمسافات كبيرة، إنه لم يحس بمثل هذا الشعور الذي امتلكه، مسك بيدها وخرج بها من المطعم وهو يحلق على جناح حبه، جلس خلف المقود، جلست إلى جانبه انطلق بها وراح يغازلها ويبثها لواعج قلبه وغرام عشقه وصل إلى المقصف الذي فيه الحفل وينتظر أصحابه، كان مكان رائع ساحر، إنه يجسم في مرتفع جبلي تكسوه الأشجار وتجاوره سلسلة مطاعم تزينها الأضواء توصل بينهم شوارع معبدة بين أجفان الأشجار، كانت الأنوار رسمت بشكل فني رائع وأصوات الموسيقى ترافق صوت المطرب لتبث الفرحة والحيوية في قلوب القادمين.

ركن سيارته جانباً.. ترجل منها وتبعته شيرين تأبط ذراعها وسار بها إلى باب المقصف.. دخل حديقة المقصف قال لها : تعالي أريك جمالية المكان قبل أن نذهب إلى أصدقائي، قالت : حسناً.. سار بها ويده تتأبط ذراعها، جاب بها أرجاء المكان.. انبهرت شرين بسحر وروعة المكان وفي مكان من الحديقة توجد شجرة كبيرة مخيمة

علـى المكـان ومـع صـوت الموسـيقى وكلمـات الأغـاني
العاطفية الملتهبـة بالحـب أنـزوى فيهـا خلـف جـذع شـجرة
واسـترق منهـا أروع وأعـذب قبلـة تحـدث بـين حبيـبين أو
هكذا شعر بها ، إنها ليست قبلة بل أشبه بالتعبـد الروحـي
والوجـداني.. للمـت نفـسها المبعثـرة وعواطفهـا المنـصهرة
وقالت له : هيا بنا لقد تأخرنا على أصـحابك سـار معهـا
وهـو يحمـل لهيـب العاطفـة وانـصهار الرغبـة بـأن يحملـها
على جناح حبه ويبتعد بها عن الأعـين والمتطفلين.. اجتاز
طاولات عدة.. قال تعـالي.. هـا هـم أقترب منهم وعنـدما
رؤوا تلك المرأة التي سبقها بريقهـا.. نهـض الجميـع ويـدأ
الـسلام والتعريـف علـى بعـضهم الـبعض والترحيـب مـن
أصـحاب سـامي.. افسحوا مكـان للـضيفين وعـاد كـلٌ إلى
مقعـده.. جلـس سـامي وشـرين بجانـب بعـض وعـادت
فوجـدت الترحيـب ثـم أصـغى الجميـع إلى الموسـيقى
والطرب.. حلقت هذه الأجواء الرائعـة في قلـبي العاشـقين
وراحت أصابع سامي تلعب في خصلات شعرها ونظراتـه
تلـتهم كـل شـيء فيهـا وهـو يهمـس في أذنهـا إنـك أجمـل

امرأة رأيتها إنك نجمة، هذا الحفل وهذه الجلسة، أموت فيك يا حبيبتي.. فترد له نفس الهمسات نسي سامي كل من حوله ولم يرى سوى حبيبته التي عصف عشقها بروحه وقلبه مما لفت نظر أصحابه، راحوا ينظرون إلى هذين العاشقين.. وكانت ملامح الخجل التي يعبق به وجهها يزيدها فتنة وأنوثة ويزيد التوهج في قلب سامي ويضاعف انبهاره فيها..مضت الساعات سريعة وساعات السعادة تمضي دائماً هكذا بسرعة نظرت إلى ساعتها وقالت له يجب أن نعود لقد تأخر الوقت.. قال لها : كما تحبين يا نجمة حياتي وفرحة أيامي القادمة، أعتذر من أصحابه بالانصراف..

تلق اعتراض الجميع وكانت أكثرهم اعتراضاً هي زوجة صديقه الدكتور راضي.. وقد طلبت منهما أن يكملا السهرة إلى الآخر.. لكن شيرين أصرت لأن من غير اللائق أن تدخل الفندق عند الفجر.. نهض سامي وشيرين وقام الجميع في وداعهما طالبين من الضيفة أن يروها مرة أخرى، قالت شيرين لهما : إن شاء الله سوف

نلتقي قبل سفري وشكرت الجميع على حسن ضيافتهم تأبط ذراعها وطار بها على جناح حبه وراح يبثها عشق روحه وغرام قلبه وقد أخذهما الحب إلى أقصى حالاته فقال لها : شيرين لن أدعك تعودي إلى الفندق بل سوف نمضي هذه الليلة إلى الصباح دون نوم هل توافقين على ذلك صمتت لحظة قالت بعدها كيف وأين سنمضي السهرة.. قال لا عليك أنا سوف أتدبر الأمر.. المهم موافقتك.. وقبل أن تجب تابع.. هيا يا حبي وقبلة صلواتي، يا أجمل صدفة في حياتي لا تضيعي منا هذه اللحظات المتوهجة في عواطفنا، قالت له : حسناً كما تحب.. انطلق بها إلى حيث جنة الحب وروعة المشاعر، لقد اختزلا العمر في يوم واحد ورشف رحيق اللحظات في بريق عينيها وتبعثرت الكلمات في رحاب عشقها.. توقفت الكلمات، ساد صمت طويل، حمل كل ألوان الحب الذي صهر الروحين.. رحلا بعيداً في بحر عيونهما وغاصت مركبتهما إلى أقاصي الحالة وعندما أدركا نفسهما كان النهار قد انتصف، قال لها وهو يبحر في

عينيها ويعيش حلم عشقه.. حبيبتي عديني بأن تكوني حبي وحدي وأن أكون آخر حب في حياتك وأن نكون لبعض إلى آخر العمر.. همست بصوتها الذي يتلاشى بين أحضان الحب، حبيبي إنني أنتظرك منذ ولدت.. قبل أن أرى الحياة.. وعشت كل سنيني الماضية في صحراء قاحلة أجوب وأبحث وعندما جئت والتقيتك بعد ضياع طويل.. هل تظن بعد كل هذا أنساك أو قلبي يهوى غيرك.. إنك سوف تكون حبي وحبيبي إلى آخر يوم في حياتي، فأنت من زارني في أحلامي وسكن في امنياتي وأتمنى يا عشق روحي بأن تكون حبيبي وحدي أريد أن أكون حبك وظلك أينما ذهبت وأن ترعى هذا الحب بكل ما تستطيع فعله قال لها وهو يتعبد النظر إلى عينيها التين هما محراب حبه.. أعدك بذلك.. سوف أفعل كل ما يحتاجه حبنا للرعاية ولكن هناك مشكلة وهو سفرك.. إني أفكر ماذا أفعل بعد سفرك كيف سأصبر على فراقك أن بعدك صعبناً جداً.. قالت له سوف أتيك كلما سنحت لي الفرصة، لن أغيب طويلاً سوف أزور بلدك باستمرار..

وأنت يجب أن تأتي إلي دائماً، قال سوف أفعل أكيد وساد الصمت لحظات، قال بعدها شيرين هل تصدقي بأنه لم يحدث لي في حياتي كما حدث لي معك، أن أحب امرأة بمثل هذه السرعة لست أدري ماذا حل بي منذ أول لحظة رأيتك فيها وأنت تقبلين علي من باب الفندق لقد التقيت نساء لا تحصى في حياتي ولكن لم أحس بمثل هذا الشعور ولم يصيبني الحب كما أصابني منك إن شعوري بك واتجاهك تجاوز سنين طويلة لذا أعدك بأن لا تنظر عيني إلى امرأة أخرى طول عمري.. ضمته نظراتها العاشقة والتهمتها عيونه وغابا في لهيب الحب وعندما حان موعد رحيلها بعد أيام.. وقف في وداعها وكانت لحظات مؤثرة وقاسية على قلبي الحبيبين، غرقت العيون بالدموع وانعصر القلب والتهبت الأيدي للمسة الوداع وعندما ابتعدت الخطوات قالت له من خلال دموعها سوف أعود قريباً لقد تركت قلبي هنا ولن أستطيع البعد عنه طويلاً...



دموع الريحان

ينام الحلم بين أجفان القدر الذي يخط سطوره على صفحات الأيام ويدور دولاب العمر الذي تبتلعه حيتان الزمن الغادر وفاتن التي داستها الظروف القاسية ومرغتها الأيام في أحضان وطنها الذي كان انتماؤها إليه كإنتماء الروح للجسد، عاشت غربتها وهي تسكن قلب وطنها الحبيب أو هو يسكن في قلبها، ضاق بها رغم اتساعه وبخل عليها بقوت يومها وهي التي لم تضن عليه بأنفاس روحها، كان حبه يعزف على أوتار قلبها ويرقص على نغمات عشقها ويرفرف حلماً في سماء فكرها إنه وطنها الغالي وعشق روحها ولكن ماذا تفعل؟ الحاجة والفقر جعلا بينهما جبالاً ووديان، لم تكن تتخيل بان الفقر له أنياب بهذه القوى التي تقتلع الإنسان من جذوره وتسلخه عن وطنه الذي زرع في قلبه وسكن روحه، لقد اعتصر قلبها ألماً ونزفت روحها وهي ترحل

عن بلدها التي عاشت فيه الغربة والفقر المدقع إلى بلد عربي لعلها تجد فيه ما افتقدته في بلدها، لفها الفرح كما سكنها الحزن عندما جاءها عقد عمل إلى ليبيا لتعمل بإحدى مشافيها ممرضة، كان حزنها لفراق وطنها وأهلها وأقاربها وفرحة تحلم بمال يجعل لحياتها معنى وتعوض حرمان السنين، سافرت والأماني تداعب روحها والأحلام تدغدغ أفكارها والمرارة تجرح حلقها وهي تفارق الوطن لأول مرة في حياتها، ولكن ماذا تفعل وقد ضاق بها الوطن؟ وبخل عليها بالقليل من العيش الذي تحتاجه امرأة بسيطة رحلت إلى بنغازي، استقبلها مدير المشفى واستلمت عملها في اليوم التالي، كان يومها مريراً وعذاب نفسها قاسياً وهي تعيش أول يوم في الغربة تاهت روحها وضاق بها المكان، كل شيء مناقض لجمال بلدها وطيبة مجتمعها ودفء عائلتها، كيف ستمضي أيامها وهي قد ساءت نفسها منذ اليوم الأول، أمضت أول يوم وهي في حالة سيئة للغاية ولم يمض اليوم الأول وتنتهي من ساعات العمل حتى هب مدير المشفى يمعن

النظر إليها ثم يلقي أوامره قائلاً فاتن سلمي عملك واحضري إلى منزلي في المساء أريدك في أمر هام، انطلقت نظراتها الحائرة تحدق به وتهمس ما هو هذا الأمر الهام قل الآن، ثم كيف أذهب إلى منزلك، رشقها بنظرات قاسية وقال بلهجة حادة: عندما أمرك بالقيام بعمل تنفذيه دون مناقشة، قالت له، هذا ضمن مجال عملي هنا في المشفى أما أن تأمرني بالذهاب إلى منزلك فهذا خارج نطاق العمل ومن حقي أن أفهم وأعرف لماذا؟..

قال بنفس لهجته الحادة لا ليس من حقك، تنفذي ما أمرتك به وتركها تتخبط بعاصفة من القلق والخوف وذهب، ظلت في مكانها ويبدأ يجول في خاطرها ألف سؤال وسؤال وحيرة أكلت روحها، هل تنفذ أمره وتذهب إليه وهي قد علمت من العاملات منذ وصولها بأنه عازب يعيش دون عائلة وأنه سيء الطبع والسمعة.

وأخيراً حسمت أمرها أنها لن تذهب ويفعل ما يحلو له، إنه موظف مثلها ولا يحق له أن يتحكم في أمرها ولكن

بعدها عرفت أن حكمها على الأمور غلط فهو يستطيع فعل كل شيء لأنه ليبي ويحق له أن يفعل بالغرباء ما يشاء وهو كان ينظر إلى كل امرأة عربية تعمل في بلده على أنها غانية يحق له استباحة عرضها وغزو جسدها، تجاهلت فاتن طلب المدير ولم تذهب إليه وعندما التحقت بدوامها في اليوم التالي فوجئت بأنه عاقبها بحسم نصف راتبها الشهري وعاد يكرر طلبه، وعندما وجدها لا تستجيب إلى رغباته حسم النصف الثاني من راتبها ولحقه بشهر وشهرين وراحت تعمل مجاناً دون أن تمنح راتبها شهوراً قليلة وطردها من المشفى وحجز عنده جواز سفرها فلا يعطيها جوازها ولا يدعها تعمل فوجدت نفسها في الشارع دون مأوى ودون أي شيء.

جابت الشوارع، أين تذهب ما هو العمل. علم كل من عمل معها بأمرها فدعتها إحدى صديقاتها إلى البيت عندها.. قالت لها أعيش في البيت مع خطيبي، تعالي واسكني معنا، ذهبت فاتن إلى بيت صدقتها فوجدت عندها امرأة ورجل، قامت صديقتها بمهمة التعريف بين

الأشخاص فعرفتهما بأنهما صديقتها وخطيبها، وبعد أن أمضت معهم السهرة عرفت بأن هذا الرجل ليس خطيب صديقتها ولا تلك المرأة لها خطيب وإنما هذان الرجلان هما عشيقان لهما وأن صديقتها هذه تفتح بيتها للدعارة وراحت تقنعها بأن تعيش معهم، رفضت في البداية ولكنها لم تجد أمامها سوى العمل معها فانساقت مع صديقتها ومن معها وأصبحت تبيع جسدها كل يوم ولمن يدفع الثمن، جمعت النقود الكثيرة وبعثرت الأكثر وفي كل يوم كانت تتسكع في الحدائق كالعادة للبحث عن طير تصطاده، وفي يوم شاهدت شاباً طويل اللحية رث الثياب يتسكع، يبحث عن مكان ينام فيه، اقتربت منه، سألته من اين أنت وإلى أين ذاهب، رد عليها بضجر بأنه بائس وقد سحقته الأيام في هذا البلد الذي جاء إليه طالباً للعمل، قالت له بلهجة بنات الليل، تعال مارس معي الحب وأعطني نقوداً.. نظر إليها بعمق وطافت على وجهه ابتسامة مريرة تعبر عن عمق بؤسه وهمس، ليس معي نقود، انتفضت وكأن أفعى لسعتها وقالت له : تباً

لك من رجل سيء كأنك لا تشبه الرجال، كيف كيف تكون رجلاً ولا يوجد معك نقود، وراحت تكيل له سيلاً من أقبح الشتائم البذيئة، وقف الشاب يستمع إليها بهدوء وكأن هذه الشتائم ليست له، لقد أشفق عليها، إنها امرأة مسكينة ضائعة وحالها يدمي اقلب، إنها أكثر مني بؤساً، هكذا كان يحاكي نفسه، لقد نسي مأساته وظروفه القاتلة وهو يرى امرأة تتسكع بالحدائق باحثة على من يشتري جسدها، خرج من صمته وتقدم منها وقال لها : هدئي من روعك وتعالي معي أريد التحدث معك، قالت له ساخرة، إلى أيهن تريد أخذي؟ إلى شقتك الفاخرة.

قال لها : هل عندك شقة أفخم منها، أطلقت ضحكة الغانيات وقالت معك حق نحن الاثنين مثل بعضنا.. إلى أين تريد الذهاب؟ قال لها تعالي.. سارت معه.. راحت خطواتهما المثقلة بعذاب التشرد والغربة تغوص في وحل أيامهما المتعبة، جابا جوانب الحديقة إلى أن وصل بها إلى مكانه الذي ينام فيه، قال لها هذه شقتي.. اجلسي هنا..

جلس فوق الكرسي، سألها ما اسمك؟ قالت : فاتن، أخذ نفساً عميقاً وقال لها هل يزعجك إذا طلبت منك أن تحكي لي قصتك ؟ أطلقت نفس الضحكة وقالت :

كل ما أنا فيه لا يزعج وطلبك هو الذي يزعجني.. لا لن يضايقني بل أنا بحاجة لأن أحكي مأساتي، وأشكي ألامي وراحت تقص عليه كيف تركت بلدها الحبيب وهاجرت إلى هذا البلد باحثة عن عمل يبعد عنها شبح الفقر والعوز وكيف تعرض لها ذلك الرجل الحقير الذي أوصلها إلى ما هي عليه، قال لها : عجباً كيف قاومتي رغباته ثم غصتي في مستنقع الرذيلة وأبحت جسدك لكل من يدفع ثمناً له.

أطلقت آه.. مزقت صدرها وقالت : لم أكن أدري أنني سوف أصل إلى هذه الدرجة، لقد لجأت إلى صديقتي ظناً مني أنها سوف تساعدني لأحافظ على جسدي ولكني اكتشفت أنها هي من يتاجر، فلم أجد نفسي إلا وأنا منغمسة في مستنقعها القذر، قال لها والآن ماذا تتمني لحياتك أن تكون، أطلقت نظرة بعيدة وعلامات

التعاسة التي تملأ صفحات وجهها تعبر عن عمق معاناتها، آه.. لو تعلم بماذا أحلم وما هي أمنياتي، لما صدقت، قال وما هو حلمك، قالت : أحلم بزوج وبيت وأولاد واستقرار أسري.. قال لها : ولكن لماذا لا تعودي إلى بلدك.. قالت : لا أستطيع لأسباب كثيرة، قال لها وحلمك هذا، قالت إنه حلم وهل لمثلي أن تعيش في حقيقة، أنا لم أعد حرة، قال : كيف.. قالت : رغم كل التسيب والانفلات اللذين أنا فيهما إلا أنني عبدة لهما مقيدة بهما فما أنا فيه هو قيد الحرية فالحرية إلى درجة الانحراف هي سلاسل من القيود وليست حرية.. الحرية هي الإنضباط والسير في وضع سليم يمكن من الاختيار.. أما أنا لم يعد أمامي سوى الحلم أعيش عليه وفيه..



احلام جدرانها من وهم

كانت الأحلام قد ماتت في عيونها والأماني رزحت تحت وطأة الاحتضار تعاني من جراح مزمنة من جفاف القلب وربيع أيامها قد أفلتت زهوره وتساقطت أوراقه.

مشت في مشوار سنينها التعبة.. تكافح من أجل لقمة العيش وتربية أطفالها الخمس الذين ليس لهم معيل أو سند سواها.. بعد مرض الوالد الذي كان يعاني من أزمات قلبية ويتصارع مع الفشل الكلوي.. لقد ضاعت أيامها واحترقت سنينها والتهم العمل كل أجزاءها كي توفر ثمن علاج مريضها بالاضافة للانفاق على هؤلاء أطفال وأعانتهم على جميع أمور حياتهم.. في خضم هذه الأمور نسيت نفسها ونسيت أنها امرأة وأن لأنوثتها عليها حق، كانت تخفي كل ما يمكن أن يشير إلى أنها امرأة تتمتع بجمال يجعلها عرضة للأطماع، سارت طويلاً في طريقها الوعر، حتى أدمت الأشواك قدماها.. تخبطت

كثيراً بين أحلام روحها.. وأمواج الحياة التي كادت أن تقتلع جذورها.. تمزقت اللحظات في عيونها.. تـوارت الشكوى خلف جفونها.. ماتت الحياة في حديقة أحلامها.. وتاهت السعادة بين أكوام الهموم.

ووسط هذا الزحام في الحياة وحدت نفسها مجبرة على الرحيل من بلاد الشام إلى بلد عربي آخر.. بلاد نجد.. مع مريضها وبصحبة أطفالها الذين يستنشقون أنفاس الحياة منها.. وفيها كان عملها قد أخذ كل وقتها وتفكيرها.. لم يكن في حياتها فراغ يتسع لأي شيء آخر.

في احد الأيام لم يأت باص المدرسة الذي يقل أطفالها فاضطرت أن تصطحب طفليها بنفسها لتوصلهم إلى المدرسة، أخذتهم مشياً على الأقدام.. تحت المطر لأنها لم تعثر على سيارة أجرة تقلها.. كان هناك رجل يقود سيارته الشبح.. أثار فضوله هذا المشهد.. حاول أن يكلمها وأن يعرض عليها خدماته.. لكنه خاف أن تفهم موقفه خطأً.. فالتزم الصمت وراح يتبعها على مهل كي لا تشعر به.. وصلت الأم إلى المدرسة.. أدخلت طفليها.. وأقفلت

عائدة، أدار محرك سيارته وتبعها أيضاً ببطء.. ظل يسير خلفها إلى أن وصلت عمارتها ودلفت إلى داخلها.. كان لا يزال تابعاً في سيارته يلاحقها بنظراته حتى رآها وهي تصعد الدرج عندها نزل من سيارته.. وتبعها بخطوات هادئة.. ليصل إلى الطابق الذي تقطن فيه وعندما دخلت وأقفلت باب شقتها أقفل راجعاً بعد أن حفظ هذا العنوان.

بعد أيام قليلة.. خرجت فاتن من بيتها لفت نظرها وجود ضابط يحرس باب العمارة نظرت إلى العمارة المجاورة فرأت هناك أيضاً حراسة.. وفي أول الشارع عسكر يذهبون ويجيئون لحراسة الشارع.. تعجبت لهذا الأمر.. واستغربت متسائلة، ما الذي جرى في حينا يا ترى؟ ما الذي حصل في هذا الشارع ؟ أترى هو مجرم فار من العدالة.. أم سرقة قد حصلت ؟ وو وأسئلة كثيرة تزاحمت في رأسها لم تجد لها جاباً..

لم تتجرأ على الاقتراب منهم وسؤالهم عما حصل.. بل كانت تكتفي بالنظر إليهم عند خروجها وحين عودتها بعين الحذر..

سارت الأيام معها كسابقتها.. لا جديد يحمل لها نفحة فرح.. أو نبضة فرح.. أو نبضة سعادة.. تداوي جراحها المدمنة.. التي تئن وتتوجع تحت هذا الحمل الثقيل.. فما زال مريضها يحتاج إلى مال كثير لاتمام علاجه، وأطفالها احتياجاتهم تبتلع رحيق ونبض حنانها.. وهي تتخبط في ظلام أيامها التي تزداد سواداً تستجدي قطرة ندى تطفأ فيها حريق صحراءها..

في الخمس شهور الأخيرة ضاقت ذرعاً من ذاك الرجل الذي يتبع خطواتها كظلها.. أينما ذهبت.. كان مرابطاً أمام بيتها ليل نهار.. سألت نفسها مراراً كثيرة عما يبغيه هذا الرجل منها.. ولم هذه الملاحقة ؟ ولكنها لم تجد جواباً شافياً.. لقد أتعب لها أعصابها.. وعليها أن تضع له حداً..

خرجت من بيتها متجهة إلى العمل وكعادتها استقلت سيارة أجرة.. حيث كانت تتبعها تلك السيارة الفخمة.. كانت فاتن تنظر إلى الوراء بين الفينة والأخرى.. تتفقد تلك السيارة.. هل مازال الرجل يتبعها؟ وصلت مكان عملها.. ترجلت من السيارة وهي ترتجف من الغضب وبدلاً من أن تدخل مقر عملها.. سارت باتجاه السيارة وهي مشغولة البال.. حيث راح فكرها يبحث عن الكلمات التي ستقولها له.. تستعرض الحروف.. تفتش عن العبارات.. تقلب المصطلحات والجمل علها تجد ضالتها.. اقتربت من سيارته وراحت ترمقه بنظرات تتطاير منها الشرر.. بينما قابلها هو بابتسامة هادئة وديعة.. تفيض بالحنان والدفء دنت من نافذة السيارة وهي تصيح بصوت يغلفه الانفعال: من أنت ؟ وماذا تريد مني ؟ اتسعت إبتسامته ، وراح يتأملها عن قرب.. فوجدها أجمل مما كان يراها من بعيد.. ازدادت ضربات قلبه، ارتعشت حنايا روحه.. غاظها صمته، استفزتها ابتسامته الهادئة، فزجرته قائلة، لماذا لا تجب ؟ إني

أسألك من أنت ؟ ولم تلاحقني ؟.. من خمسة شهور.. أجبني هيا بسرعة.. هل أنت من عناصر المخابرات ؟ وهل أنا قد ارتكبت جريمة.. لتتبعني هكذا ؟.. قال بكل برود والابتسامة العريضة لم تبرح وجهه ربما..!! هل أزعجتك بالمسير خلفك، ردت بكل انفعال يا للوقاحة.. !! تسألني إن كنت قد ضايقتني ؟ وهل ما تقوم به لا يدعو للانزعاج، إني أريد أن أعرف منك حالاً.. من أنت ؟ وما الذي تبغيه ؟ رد بهدوء وبرقة : أنا ظلك والرمش الذي يحمي عيونك من تلوث الجو.. ردت بشيء من الضجر والجفاء.. يا رجل ألم تتعب خلال هذه الشهور الخمسة ؟ ألم تمل ؟ أليس لديك عمل تقوم به غير ملاحقتي.

رد من خلال ابتسامته الوديعة : هل يضجر الإنسان من السعادة عندما تسكن قلبه وروحه، هل يمل من النور عندما يبدد ظلمة حياته.. صمتت والحيرة تسكن صوتها وعيونها : ماذا تقول لهذا الإنسان.. بماذا تجيبه ؟ وسرحت بنظراتها تفتش بداخله عما يبدد حيرتها،

وقعت نظراتها في أعماق عينيه، قرأت أشياء لم تستطع ترجمتها، كانت عيناه تحملان الكثير من المعاني التي ارتعشت لها.. ماذا في داخل هذا الرجل الغامض الذي رماه القدر بطريقي ولكن شعورها المتخبط هذا لم يمنعها من سؤاله مرة أخرى : قلت لك ماذا تريد مني يا هذا ؟

- اسمي نايف

- لا يهمني اسمك.. أسألك لماذا تتبعني بهذا الشكل ؟

لفها بنظرة تحمل صدق مشاعره ولهفة روحه ثم قال : سأظل أتبعك وسأبقى حارسك الأمين حتى آخر العمر.. ضجرت من أجوبته وهدوء نفسه.. أطلقت زفرة تأفف وتركته وانصرفت، غابت ساعات طويلة خرجت بعدها إلى الشارع.. إذ به لا يزال قابعاً بسيارته.. في نفس المكان الذي تركته به.. رمته بنظرة غاضبة وأطلقت زفرة طويلة ثم استقلت سيارة أجرى.. انطلقت عائدة إلى بيتها وأمام عمارتها وقفت السيارة ترجلت منها وهي تلتفت إلى الوراء كي تراه إذا كان مازال يتبعها.. فوجدته يركن

سيارته في أول الشارع ويتبعها بنظراته.. كانت تتمتم بالشتائم عليه وهي تجري داخل العمارة وتقول لنفسها ماذا أفعل مع هذا الرجل الوقح.. لم يؤثر به كلامي وقد أتلف أعصابي. بل بت أخافه.

دخلت بيتها وهي في حالة عصبية قلقة مضطربة، مكثت يومين لم تذهب خلالهما للعمل، وعندما خرجت وجدته لا يزال جالساً في سيارته وكأنه لم يبرح مكانه منذ تركته.. فوجئت به بل صعقت وخرجت منها صيحة مكتومة : يا ويلي ماذا أفعل؟ بل ماذا وراءه من مصائب، أوقفت سيارة ورمت بنفسها داخلها، انطلقت إلى مكان عملها وكان بين اللحظة والأخرى تلتفت متفقدة إياه.. هل ما يزال يتبعها ؟

وصلت مكان عملها ترجلت من السيارة تلتفت حولها وجدته يركن سيارته على مقربة منها.. اتجهت نحوه بخطوات مضطربة..عندما أصبحت بقرب سيارته وقفت أمامه لدقائق ترميه بنظرات نارية طافت على وجهه ابتسامة مشرقة فتح باب سيارته بهدوء وترجل منها..

ووقف بجانبها ويده ممسكة بالباب وراح يتفحصها.. صفعته بنظرة غاضبة وهي تسأله : ماذا تريد مني ؟ همس بصوته الدافئ ولهجته الودودة قلت لك إنني أريد حراستك والاطمئنان عليك وعلى وصولك بسلامة إلى أي مكان تقصدينه.

ردت بعصبية : تحرسني ؟ هل أنا شخصية سياسية لامعة تترصدني العيون ؟ أو أنا هناك من يريد اغتيالي ؟ ثم بأي صفة تحرسني كما تقول ؟ :

- المكان لا يسمح لأقول لك بأية صفة، قالت بشيء من السخرية : هل تكون من بقية أهلي أو أحداً من أفراد أسرتي وأنا لا أدري كي تكرس كل وقتك من أجل حمايتي وحراستي.

احتواها بنظرة تحمل فيضاً من الحنان والدفء ورد قائلاً : ألا ترين معي بأن الوقوف على الأرصفة مكان غير مناسب للشرح الطويل أو الرد على أسئلتك الكثيرة ؟ قالت له بنفس لهجتها الساخرة وبرأيك أنت.. ما المكان المناسب لحديث كهذا ؟

اتسعت إبتسامته التي لم تفارق شفتيه وهو يقول : أرجوك.. لا تفهمي كلامي غلط.. فأنا ليس لدي نية سوء. ولا أريد لك الأذى إن كل ما أعنيه هو أننا نقف في شارع عام ولو طالت وقفتنا هنا قد نتعرض للأذية أو المضايقة.. ولأنني حارسك لا يمكن لي أن أعرضك حتى إلى نظرة سوء من أحدهم.. ثم أرجو منك أن تمنحيني فرصة اثبت لك خلالها صدق نواياي.. أعرفك على مكانتك العالية عندي..

زادت حيرتها.. ولم تدر بما تجيبه.. أو كيف عليها أن تتصرف مع هذا الرجل.. لم يطل صمتها.. بل لملمت حيرتها.. واستعادت جرأتها وقالت له : اسمع يا هذا : كلمة أخيرة أقولها لك.. ابتعدي عني ويكفيني ما بي فلست بحاجة إلى هموم جديدة ومصائب أخرى.. رد بسرعة : أنا اسمي نايف.. رجل طيب.. ولن يأتيك من ناحيتي أية مصيبة.. أكرر رجائي.. بأن تثقي بي.. وتمنحيني ، وتمنحي نفسك فرصة.. قد تكون خيراً لك.. وسعادة لي.. عكس ما تتوقعينه من سوء غرزت نظراتها

في عينه لتستشف صدق كلماته.. أطالت النظر في عينيه تملكها صدق روحه.. واحتواها الدفء والحنان الذي يشع من بريق عينيه.. فهمست له.. حسناً.. لو صدقتك وآمنت بحسن نيتك.. أين وكيف يمكن لي أن أجلس معك لفتح حوار حول هذا الموضوع فأنت ابن هذا البلد.. وتعرف عاداته وقوانينه الظالمة.. فأنا أكلمك الآن وأشعر بفرائضي ترتجف خوفاً من أن تصادفنا رجال الهيئة.. فتلبسنا مصيبة.. لا نعرف كيف نخرج منها، صمت قليلاً.. قال بعدها لا تشغلي بالك بهذا الأمر.. المهم أن توافقي على المبدأ.. وتستمعي لي.. فأنا لدي الكثير من الكلام.. أريد أن أبوح لكِ به، وطالما أنتِ معي لا تخافي من أي شيء في هذه الدنيا، وأتعهد لك بأن تكوني بأمان.. لأنني قادر على حمايتك من أي خطر يحدق بك.. ارتحلت عيناها بنظرة بعيدة.. يا ترى هل يكون له مركزاً في الدولة أم أنه رجل مجنون.. ولكن عليَّ الآن مجاراته كي أعرف من هو.. وما الذي يريده مني علني أرتاح من هذا القلق الذي يسكن نفسي وهذا الخوف الذي حرق أعصابي.

هكذا كانت تحاكي نفسها.. عندما أيقظها صوته وهو يقول : هيا اصعدي إلى جانبي.. بعدها نختار المكان الذي سنجلس فيه.. رمت نفسها جانبه بسرعة.. كي تحسم أمر صراعها مع الخوف والتردد ، أدار محرك السيارة وانطلق تحمله السعادة على جناحيه وتحلق به عالياً.. سار في شوارع المدينة على غير هدى ، كان الصمت يلفهما بين أجنحته.. وكل منهما يفكر باتجاه.. ويبحث عن مدخل لحديث.. يقارب بين فكريهما.. وأخيراً.. مزقت فاتن غلاف الصمت ، حين أطلقت صوتها المرتبك قائلة : سيد نايف : أظن أن المكان هنا مناسب للحديث والشرح والرد على أسئلتي.. فأرجو منك أن توضح لي تصرفك هذا..!

قال لها : إنه الحب.. ردت متسائلة.. الحب.. !! أي حب هذا ؟؟ ثم من أين تعرفني حتى تحبني.. أم أن الحب أصبح يباع على الطرقات..

قال لها : بل أعرفك.. لقد عرفتك أكثر مما تعرفي نفسك.. خمسة أشهر وأنا أعيش معك.. في كل لحظاتك حتى

أصبحت أعرف عنك كل شيء.. سألت بضجر : لماذا.. ومنذ متى ؟ أجاب : منذ أول لحظة رأيتك فيها.. يومها كنت ترافقين طفلتيك إلى المدرسة.. يومها سرت على قدميك.. وتحت المطر.. أطلقت شهقة عالية متسائلة : يوم ذهبت مع الطفلتين إلى المدرسة.. رأيتني.. وكيف ؟؟

رد قائلاً : كنت ذاهباً إلى عملي.. في شارعكم عندما رأيتك تخرجين بهذه الساعة المبكرة مع طفلتين، ولما لم تجدي سيارة ذهبت مشياً على الأقدام في بادئ الأمر تملكني إحساس بالغربة.. ما لبث أن تحول بي إلى فضول وأنا أتبعك فنحن لم نعتد أن تخرج امراة من نساء بلدنا بهذه الساعة المبكرة أو ترافق أطفالها إلى المدرسة.. وسيراً على الأقدام ! فالعادة هنا أن يقوم السائق بهذا الأمر.. فتبعتك دون أن أدري إلى أية جهة تسيرين.. ولدى وقوفك أمام باب المدرسة وجدت نفسي دون إرادة مني.. أوقف سيارتي وأنتظرك وقد اجتاحني إحساس غامض لا أدري تفسيره ومن خلال هذا الاحساس وجدت نفسي أتبعك في طريق العودة أيضاً.. وانتظر أمام عمارتك

كل يوم ثم قادني إحساسي هذا إلى أن أبحث وأتحرى عنك.. فقد سألت عنك كل سكان العمارة والمحلات التي في الحي وعرفت بذلك من أنت وكيف تعيشين حتى أنفاسك عرفت عددها ووضعت لك ثلاث حراس من عناصري، قالت متسائلة : عناصرك ؟ ماذا تعمل حضرتك ؟ رد : هذا لا يهم.. المهم أنني أحببتك.. وقدست كفاحك المرير وجدية حياتك ولم أفكر يوماً بأن أتحرش بك بكلمة، أو حتى أن أضايقك بتصرف .، فأنا يكفيني منك أن أراك من بعيد ولولا أنك تصديت لي لما كنت كلمتك حتى هذه الساعة.. وكما قلت لك يكفيني أن أنظر لك من بعيد، أحرسك، أطمئن عليك، وعلى سلامتك، قاطعته : إني أكاد أجن هل يصدق العقل أو المنطق هذا الحديث، امرأة لا تعرفها، ولم تربطها بك علاقة.. تكرس كل وقتك لمرافقتها وحراستها.. كما تدعي.. ثم كيف تحب امرأة وهي لا تعرفك ولا تشعر بك.. ولا تدري عن هذا الحب شيئاً.

أطلق ضحكة خفيفة فيها الكثير من المرارة وقال لها : معك حق.. إنه شيء جنوني أليس كذلك يا سيدتي، اعتبريني كذلك، ثم أطلق تنهيدة عميقة وهو يقول : آه لو تعرفي ما أنا فيه.. شعرت فاتن بشيء من الألم يعتصر قلبها، لقد جرحت روحها.. لهجته المريرة.. فردت بلهجة متأثرة.. أتمنى أن أدخل أعماقك لأعرف ما الذي بداخلك..

قال لها مازحاً لا تتعجلي الأمور.. سوف تعرفين كل شيء في حياتي لاحقاً.. قالت له بلهجة لوم وتأنيب : يا نايف.. أنا امرأة متزوجة وقد قلت بنفسك أنني أكافح من أجل أطفالي وزوجي المريض، قاطعها قائلاً : وأنتِ أيضاً قلت نفسكِ بأن زوجك مريض وامرأة مثلك يجب أن تعيش إحساسها وحياتها وليس من العدل أن ترهن نفسها وتضيّع شبابها بجانب رجل مريض، ثم أن حبي لك أمر ليس في يدي.. لقد تملكني حبك رغماً عني، لست شاباً مراهقاً طائشاً لا يعرف معنى تصرفاته أو حدودها ومراعاتها.

سألته : ولكن.. ما آخر هذا الأمر وهذا الحب ؟ قال لها : فاتن ، أنا لا أطالبك بشيء... ولا أطمع منك في شيء.. كل ما يسعدني هو أن أراك.. أجالسك.. أسمع صوتك.. أحس بوجودك.. لا أريد منك غير ذلك.. قالت له بشيء من الحيرة، هل تظن بأنني أستطيع مجاراتك بهذه العواطف، وأنا امرأة متزوجة وهناك في حياتي رجل مريض بحاجة إلي.

قال لها بلهجة استعطاف وأنا أيضاً بحاجة إليك أكثر منه فزوجك مريض جسدياً يحتاج إلى طبيب ليعالجه، كل ما يحتاجه منك هو المال، وهذا الأمر سهل، أما أنا فروحي هي المريضة التي لا يمكن لطبيب أن يشفيها.. فهي مريضة بك، ولن يشفيها سواك واستطرد قائلاً فاتن إنني أريدك أن تكوني لي صديقة أعدك بذلك. وأقسم لك بأن لا تتعدى علاقتنا حدود الصداقة.. ولن أتجاوز معك أية خطوط حمراء أو وضع تفرضيه بنفسك.. عديني بأن تكوني صديقة.. ودعيني أحبك على طريقتي.. ارتحلت عيناها بنظرة بعيدة.. وتاهت في حيرتها.. من أي صنف

هذا الرجل ؟ هل يوجد رجل ولد في صحراء هذا البلد القاحلة يعرف معنى الحب العذري أو لديه المقدرة على التعامل بالعواطف.. إنني لا أصدق هذا.. أيقظها من شرودها حين قال : بماذا تفكرين.. ، إلى أين رحلت بأفكارك.. ردت : لا.. لا لم أرحل.. أنا هنا معك.. أفكر بما تقوله.. سألها وما هو رأيك ؟ ردت : لا أستطيع أن أقرر الآن فالأمر ليس بهذه السهولة.. أعطني مهلة أرد لك جوابي النهائي ، قال : خذي وقتك المهم أن توافقي في النهاية ، ثم أضاف قائلاً.. من ناحية علاج زوجك وما تحتاجينه اعتمدي عليّ.. فأنا على استعداد لتحمل مسؤوليته.. وأرجو منك أن لا تفسري كلامي خطأ حتى ولو كان ردك سلبياً.. فسأظل أنا مسؤول عن أسرتك.

لاذت بالصمت ولم تجب.. دقائق.. ثم سألها قائلاً : لماذا هذا الصمت.. تكلمي.. قولي شيئاً نظرت في ساعة يدها ثم قالت له : لقد مضى الوقت سريعاً ويجب أن أعود إلى بيتي الآن.. قال لها : حسناً سوف أوصلك.. ولكن بعد أن نتناول طعام الغداء فأنا أدعوك لتناول الغداء معاً ،

حاولت الاعتذار والتخلص من هذه الدعوة.. ولكن دون جدوى عادت إلى بيتها بعد الغداء.. استلقت على سريرها وانغمست بتفكير عميق يا لهذا القدر.. هل هي بحاجة لمزيد من الهموم والمتاعب.. هل هي بحاجة إلى ما يشغلها أكثر مما هي فيه.. هكذا كانت تحاكي نفسها.

مضت الأيام بين الأخذ والرد والتردد والقبول.. وفي النهاية غرقت في بحر من العسل.. كانت هي بحاجة لقطرة منه.

كان يرافقها كظلها.. وكأنما لا تربطه بالحياة أية مسؤولية، أو عمل سواها، يرافقها على عملها، يعيدها إلى منزلها، ينتظرها بالساعات ليل نهار، رافقها إلى كثير من مطاعم البلد.. كانا يجلسان متقابلين.. حول الطاولة.. يبثها حبه، يقول لها أجمل كلمات الغزل والرقة.. لكنه لم يحاول مرة أن يأخذ يدها بين يديه.. أو أن يداعب أصابعها.. فهو يكتفي بأن ينظر إليها. يبحر في عيونها.. وكانت هي تذوب في كلماته تنصهر بين حروفه تغمض عينيها، تحلم بقبلاته.. تتمنى أن يضمها إلى صدره.. أن

تلامس يده خداها.. أن يقبلها.. لكنها تصحو من حلمها.. لتراه ينظر إليها.. بعيون تتدفق حب وحنان.. وبشوق يغرق الدنيا.. لم تستطع أن تقول له قبلني.. أو إمسك يدي.. كان كبرياؤها يمنعها لكنها تستغرب تصرفه هذا.. وطبعه الغريب.. إنه رجل.. ،أي رجل يجتمع بمن يحب لا بد وأن يدفعه شوقه وحبه لأن يقبل حبيبته أو أن يمسك يدها ، يداعب خدها أو أصابع يديها.. أما هو فلم يكن يفعل أي شيء من هذا ، يكتفي بالحديث الناعم أو بالنظرات التي يتفجر منها ينابيع الشوق والعواطف.. هكذا كانت تحاكي نفسها في كثير من الأوقات.. لا بد وأن يكون وراء هذا الأمر سر وعليها أن تكتشف هذا السر غير أنها لم تستطع كان كريماً جداً معها أعطاها كل شيء ، قدم لها كل ما يسعدها إلا قبلاته حرمها منها.. ولا تدري السبب ، لقد أكلتها الحيرة.. ومزق روحها السؤال الذي لم تجد له جواباً ، مضت سنوات ثلاث على حلمها الجميل الذي تمنت أن لا تصحو منه.

في صباح يوم لم تشرق شمسه، حل فيه الظلام الأليم، انطفأت شمعة حياتها، صحت من حلم سكن أجفانها، حين خرجت من بيتها ولم تجده خلف مقود سيارته وعيونه معلقة على بابا عمارتها، تلفتت حولها، لم ترَ أحداً، أصابها قلق وخوف شلا تفكيرها، ما الذي حصل؟ هذه أول مرة منذ أعوام ثلاث لم يختفي من أمام بيتها إنه يكاد أن يكون ساكناً بجانب هذا الرصيف، ما باله يختفي اليوم ؟ ثم لو كان لديه ارتباط أو عمل أو سفر لكان أخبرني به، أو هكذا راحت تحدث نفسها، خرجت إلى عملها وعادت وهي في حالة سيئة من التفكير والاضطراب نامت ليلتها وكأنما تحتها جمر تتقلى عليه، خرجت في اليوم الثاني، قبل موعدها كي ترى إن كان موجوداً ولكنها لم تراه، تملكها الخوف وسكنتها الوساوس السيئة، ماذا به.. ماذا حصل معه، لِمَ لم يأت اليوم أيضاً.. لا بد أن يكون هناك مانعاً شيئاً كبيراً حصل معه، كي يمنعه من الحضور لا بد أنه أمر غير اعتيادي ؟ ما عساه أن يكون..

كانت تتمنى أن يكون المانع خيراً وراحت تتلو آيات من القرآن وتتعوذ من الشيطان، وتدعو له ليحفظه الله ويكون بخير ولكن مرّ يوم وبعده يوم وليلة وتلتها ليلة وها قد مضى خمسة عشر يوماً.. ولم يظهر له أثر.. إنها لا ترى سوى جنوده الذي يقومون بالحراسة ولكنها لا تتجرأ أن تسأل أحدهم عنه، ضاقت بها الحياة وخيم على أيامها ظلام دامس أطفأ نور عيونها، مزقتها الحيرة، وجرحت المرارة حلقها، وضجر الفكر من عذابها ومن مراودات أفكارها، ولكن لكل طريق نهاية وكل ليل لا بد وأن يتبعه صباح، لقد جاءت نهاية سعادتها وموت فرحتها وانطفأت شمس سماءها.. وغاب قمرها عندما سمعت طرقات سريعة على باب بيتها، نهضت ببطء وتكاسل، ثم سارعت نحو الباب تجر قدميها جراً.. أمسكت بقبضة الباب وفتحته لتجد أمامها الضابط حارس المبنى.. تنحنح وهمس بصوت مرتبك، صباح الخير سيدتي، قالت أهلاً، وهي تتفحصه بنظرات ملؤها الحيرة، نعم ماذا تريد، هكذا سألته، أطرق قليلاً يفكر

كيف سيلقي عليها هذا الخبر المفجع.. كان يحدث نفسه.. قلبت نظراتها فيه.. ثم أعادت سؤالها : خيراً إن شاء الله، ماذا تريد.؟ هل من خدمة أسديها لك ؟ قال لها بصوت ضعيف كأنه ينازع الموت ألست السيدة فاتن، قالت : أجل.. ما وراءك، قال لها : بصوت يكسوه الحزن والأسى : أنا حارس المبنى الذي يخص السيد نايف، صاحب بصوت يحمل الفرح والخوف والأمل في طياته : نايف.. أين هو ؟ ولماذا هو غائب طوال هذه المدة ؟ وقف قليلاً جامداً لا يبدي حراكاً أمام لهفتها وفيض أسئلتها ودموع تملأ مقلتيه.. راعها صمته.. شلتها الدموع المتموجة في عيونه.. أسكتها بروده أمام اندفاعها.

ماذا حدث ؟ أخرج صوته المبحوح وقال لها : سيدتي.. إن سيدي نايف مات منذ خمسة عشر يوماً..

ماتت الكلمات على شفتيها.. احترقت الدموع في محجريها، تمزق صوتها داخل حنجرتها، انعقد لسانها.. ندت عنها أنة موجعة.. أه يا نايف تركتني وحيدة ورحلت..أه.. أه.. كيف أعيش من دونك.. سوف تكون

أيامي موجعة، نهاري مظلم.. وليلي ممزق بارد بلا روح، أخفت وجهها بيديها وهي تكتم صوتها الممزق، كان الضابط ينظر إليها بحزن ورثاء، لا تفعلي بنفسك هكذا سيدتي كلنا على هذا الطريق، ادع له بالرحمة والمغفرة.. وأخيراً سالت الدموع على خديها وحملتها الذكرى إلى أيامها معه، إلى تلك السعادة التي عرفتها معه، ومن خلاله، تداعى لسمعها صوته وهو يقول : فاتن أنت شمس بددت ليل أيامي، أنت شمعة أضاءت ظلمة ليالي.. آه يا فاتن لو تعرفي ماذا أنت بالنسبة لي، وأنت لا تدري مأساة حياتي أنت الشيء الوحيد في حياتي الذي يستحق الوقوف أمامه كان يقول هذا وهما في جلستهما حول طاولة الطعام بأحد المطاعم بينما كانت فاتن تعيش هذه الذكريات وهي واقفة أمام الضابط والدموع تنهمر من عينيها، بدأ الضابط يروي لها قصة وفاته، حيث قال لها : بعد أن أوصلك إلى بيتك، عاد إلى بيته كالعادة وبعد منتصف الليل داهمته جلطة قلبية، لم تمهله سوى دقائق، حملت روحه ورحلت بها.

استعادت فاتن وعيها، تذكرت كلمته بعد أن أوصلت فسألته من بين دموعها المنهمرة بغزارة وبصمت موجع، ماذا قلت؟ هل كنت على علم بأمر علاقتنا ؟ رد الرجل: إن سيدي ليس رئيسي بالعمل وحسب بل كانت تربط بيننا صداقة متينة وتجمعنا إخوة من أيام الدراسة الأولى، لهذا كلمني بهذا الموضوع، وقد كلفني بهذه المهمة التي أديتها الآن، منذ ثلاثة أعوام طلب مني أن أساعدك في كل ما تحتاجينه، وأن أقوم بعمل أي شيء تطلبينه أو يخصك، وأن أشرف على حمايتك.. سيدتي لقد كنتُ عيونه المترقبة أثناء غيابه وقد طلب مني قبل وفاته بيوم واحد أن أذهب إلى مكتبه كي أحضر لك أوراق وظروف.. وأشياء لا أعرف محتوياتها، وهو لم يكشف لي عما بداخلها ولكن الموت قد سبقني صمت لحظة.. ثم تابع إنه كان يحبك حباً جماً.. أدى على حرمانه من أشياء كثيرة.. تنبهت مرة أخرى حين قال كلمة حرمانه.. سألته بصوتها الممزق الباكي تقول محروم.. محروم من ماذا ؟.. هل يوجد في حياته شيء لا أعرفه.. رد

الرجـل : نعـم وقـد طلـب مـني في إحـدى جلـساتنا أن أكشف لـك سـر عذابـه.. لـو حـدث لـه أي شـيء أبعـدكما عن بعضكما.. وكأنه كان يشعر بما سوف يحدث.. كانت تغرق في بحر أحزانها وتشتت نظراتها.. وتستمع بصمت عميق لما يخص هذا الفقيد الغالي الذي كانت لحظاته معها تساوي عمرها كله، تابع الضابط :

كان سيدي نايف يعوض عذاب نفسه لعجز رجولته.. في الساعات التي كان يقضيها معك.. وإحساسه الغامر بحبك.. فكان هو الدفء الذي يغلف حياته.. يعوضه عن حياته الباردة مع زوجته.. همست فاتن : أرجوك... كفى دعني لوحدي، فانا أشعر بأن قدماي لم تعد قادرة على أن تحملاني أكثر من ذلك.. قال لها : أرجو المعذرة، لقد جئت أودعك وأبلغك بالخبر.. لأنني سوف أترك الحراسة هنا وأعود إلى مقر عملي.. بعد رحيل سيدي، فوجدنا هنا لم يعد له حاجة، تركها الضابط جثة تمزقها مخالب الحزن وتحرقها لوعة فراقه الطويل.. إنه فراق لا عودة بعده كيف تعيش الآن وما الذي سيصبر قلبها على هذه

المصيبة.. أرادت البكاء.. الصراخ.. فلم تستطع ، لقد شلت المصيبة حركتها وأخفت صوتها ، ولم يصدر عنها سوى أنين المحتضر.. واحتل فكرها شريط ذكرى الأيام والساعات التي قضياها معاً.. توقفت أمام جلسته.. وهو يعصر يديه بدلاً من أن يمسك يدها وكم حيرها هذا الأمر.. والآن وجدت جواباً لسؤالها.. ولكن مهما كان سبب حرمانها من دفء قبلاته.. أو لمسة يده.. فهي بحاجة ماسة إلى وجوده في حياتها.. كان رغم كل شيء يملأ حياتها حناناً ودفئاً وحباً..

عندما خرجت إلى الشارع بعد أيام.. لم تجد حارسها الأمين.. لقد رحل مع رفاقه مع رحيل فقيدها الغالي.. نظرت إلى مكان سيارته.. ولأول مرة لم تجدها جاثمة أمام مدخل المبنى.. آه يا نايف..!! قبل رحيلك كان هذا الشارع يعج بالحيوية والحياة.. كانت الابتسامة ترقص على وجوه كل من تصادفهم.. أما الآن أيها الحبيب الغالي.. أصبح الشارع كشبح أسود.. نهاره ليل.. وليله مظلم والحياة بين جنباته.. يسكنها الموت.. هكذا كانت

تحاكي روحها وهي تقلب نظراتها في الشارع هنا وهناك.. فصدرت عنها أنه موجعة قالت بينها وبين نفسها أعدك أيها الغالي.. أنك سوف تبقى تعيش في حياتي.. وسوف تظل سيارتك جاثمة أمام عمارتي.. وتظل ساكناً في حنايا ضلوعي.. وفي جنبات روحي وقلبي وإن رحلت بجسدك.. فلن ترحل روحك من عالمي إلى آخر العمر.. طالما في قلبي عرق ينبض.. فسيظل ينبض بحبك.. وسوف تراك عيوني دائماً تتبعني.. بكل خطواتي كما عهدتك وكما كنت دائماً معي.. لن ترحل.. لن ترحل ابتسامتك لن ترحل كلماتك الدافئة.. لن ترحل.. أبداً.. لأنك كنت ومازلت وستبقى ساكناً في حنايا ضلوعي وفي أعماقي.



الفهرس

صدر للكاتبة :

١ – امرأة لا تعرف الخوف ١٩٩١.

٢ – رحلة في قطار العمر ١٩٩١.

٣ – جرس الهاتف ١٩٩٩.

٤ – رغبات ٢٠٠٣.

٥ – تفاصيل العشق ٢٠٠٠.

٦ – دموع تحترق ٢٠٠٤.

٧ – اغتالوا أحلامنا ٢٠٠٥.

٨ – حلم ليوم واحد ٢٠٠٧.

